عبد العزيز جادو

انفعالاتك .. كيف تستخدمها وتطبقها

بقلم عبد العزيز جادو

* * *

من اصعب الاشياء التي سنتعامل معها في خلال هذه الرحلة الشائقة التي سنجتازها معا : الانفعال .

والانفعالات يمكن ان يعبر عنها بطرق واساليب شتى . فنحن قد يكون لدينا حالات مزاجية وانفعالات مخربة ، هدامة ، وقد يكون لدينا حالات وانفعالات بناءة خلاقة . كما ان هناك تشابها بين الانفعال والطاقة نسميه الكهرباء . ومع ان كلاهما غير منظور الا انهما قوتان قديرتان ، فعالتان ، لهما سطوة اي سطوة .. ويمكن ان يستغل كلاهما اما بطريقة بناءة ، او باخرى هدامة ، وذلك حسب الاتجاه الذي يتلقيانه منا ، وحسب الفهم والادراك الذي عندنا .

ودرجة الانفعالات التي نعبر بها ، واثرها على وجودنا الطبيعي ، انما تتوقف الى حد كبير على ما اذا كنا ذوي شعور شاذ يؤثر فينا بطريقة مخالفة للمالوف ام العكس . فالشخص الفاتر ، المتراخي ، يعاني من الانفعال ارتكاسا واهيا بسيطا . وهناك انماط معينة من اولئك الذين عندهم بلادة في الاحساس والتاثر وخمول في الشعور ، لدرجة يستطيعون معها مواجهة عمليات معينة ويجتازونها بدون حاجة الى تخدير . وليس في هذا اية شجاعة ، وانما يمكننا ان نقرر ان الاتجاه العقلي له نصيب من العمل ، ولكن الاعصاب ذاتها تكون في هذه الحالات اقل احساسا بدون شك . وجدير بالذكر ان معظم الاحساس بالالم ينشا عن الانسجة الخارجية حيث توجد اطراف العصب . وان الجروح التي تحدث في الانسجة العميقة ليست مؤلمة للغاية .

والانفعالات السلبية ، الهدامة ، تسبب تغيرا كيماويا محسوسا في الاجسام ينتج عنه نقص في الحيوية وفي صحة البنية — من حيث النشاط واداء الوظيفة — فيكون الكسل الوظيفي . وسرعان ما يشتد احساس العصب ، فيصبح الجسم تربة خصبة للارتكاس من جميع الاشياء ذات الطبيعة الانفعالية ، وارضا صالحة ينمو فيها الاضطراب ويفشى فيها الفساد .

والانفعال اقوى طاقة فينا . فهو يدفعنا — كالقوة المندفعة من آلة كبيرة — الى اعلا والى امام ، والى خلف ، والى اسفل . وفي مقدوره ان يجعلنا سعداء ، ويرفعنا الى اسمى درجات السعادة ، او يتزل بنا الى اقصى دركات التعاسة . وفي امكانه ايضا ان يجعلنا نطير فرحا ونتهلل بشرا ونزهو طربا ، او نصرخ من الحزن والحسرة . وفي امكانه ان يجعلنا نطلق صيحة فرح او صرخة الم . انه كالبخار المحبوس في المرجل يجاهد في ايجاد تعبير .

والانفعال موجود في الناس منذ الولادة حتى يخبو من شمعة الحياة شماعها . فالغلام الصغير الذي يوصف بالسوء او بالرداءة هو الذي يعبر عن هذه الطاقة بطريقة هدامة . وقد تكون قوى ادراكه ، وقيادته ، والتوجيه الذي يتلقاه من شخص اخر اكبر منه هي التي تمد هذه الطاقة بما تحتاجه .

ومهما يكن من شيء ، فاننا نرى ان من الناس البالغين الذين لديهم قوة ادراك مكتمل النمو من يستعمل هذه الطاقة بطريقة مخربة ، هدامة ، تماما كما يستعملها الغلام الصغير .

وكثيرا ما يكون الانفعاليون عصبيي المزاج ما لم يقوم هذا الانفعال ويوجه توجيها حسنا ، وتحكم قيادته بدقة . انه قوة يجب ان تخضعها لك ، وتسيطر عليها تماما ، والا فستقهرك وتتغلب عليك ، ومن ثم تصبح لها عبدا ذليلا .

وانفعالاتك في مقدورها ان تحرك اعصابك ، وان تلعب بها ، وتجعلك كريشة في مهب الرياح . او كمركب تلعب به العواصف والانواء . والانفعاليون كثيرا ما يغلب عليهم الهم ، ويتطبع على ملامحهم طابع الحزن والاكتئاب . وانك لتجدهم ذات يوم في الذروة ، وفي اليوم التالي في اسفل درك يمكن ان يهبط اليه انسان .

يقول وليم جيمس : « اذا قسنا انفسنا الى ما يجب ان نكون عليه ، لاتضح لنا اننا انصاف احياء !.. فاننا لا نستخدم الا جانبا يسيرا من مواردنا الجسمانية والذهنية . او بمعنى آخر ، يعيش الفرد منا في حدود ضيقة يصطنعها داخل حدوده الحقيقية . انه يمتلك قوى كثيرة مختلفة ، ولكنه عادة لا يفطن اليها ، او يخفق في استخدامها » .

ما هو المزاج العصبي ؟

ومن المحتمل ان يميز الناس السلالة العصبية من خلال الانفعال اسرع مما يميزون الانفعال ذاته .

واذا سئلنا : ما هو المزاج العصبي ؟

اجبنا : انه المزاج الذي لا يكون فيه الجهاز العصبي باسره تحت سيطرة الادراك والارادة . وهذا التعريف قد لا تجد مثيلا له في اي مكان آخر ، ولكنه الحقيقة في بضع كلمات قصار . والذين يتخلقون بمثل هذا الطبع غالبا ما يكونون ذوي ارادة قوية ، ثابتة للغاية ، ولكنها ارادة يضللها ويسيء توجيهها في اكثر الاحيان تاثير الانفعال . وكثيرا ما تحمل هذه الارادة الفرد على الوقوف في مواجهة ما يعتبره الشخص الهادىء الرصين امرا معقولا ، ولكنه يثابر على هذه الفكرة ، ويظل على هذا الامر الى ان يدعو الانفعال المضاد الى التوقف ، الذي ينتهي الى الانهيار والهبوط او التغير المفاجيء في الحالة باسرها .

وثمة شخص عصبي المزاج يحتمل ان يكون ماهرا وذا ذكاء حاد وله عقلية قوية . وهذا في مقدوره ان يقوم باداء اي عمل اذا امكنه ان ينتظم في خطة العمل الذي يؤديه.

اما اسوا حالات ضعف الاعصاب او الخورالعصبي (النوريستاينا) التي نشاهدها فهي تعبر عن عقول قوية ، بارعة ، ماهرة ، فعالة ، نشيطة ، اقرب ما تكون الى الاستبطان (١) ، ولكن استحالة ضبطها ، وكبح جماحها ، جعلاها اشبه بزوج من الخيول الجامحة .. وهكذا تغدو هذه الطاقة الدقيقة التي يملكها ، هدامة في ميولها واتجاهاتها .

واذا نحن درسنا تاريخ مشاهير الرجال نجد انهم ذوو احساس ، وعندهم سرعة تأثر وانفعال ، ونزعة الى العصبية ، ولكن هناك مع ذلك ، ارادة جموح لا تقهر هي وحدها التي امكنها ان توجه هذه القوى الى وسائل بناء ، خلاقة . فاصبحوا سادة مسيطرين على هذي الطاقات العجيبة ، بدلا من ان يكونوا عبيدا لها مسودين . وهذه الطباع وهذه الامزجة هي التي خلقت القادة والعلماء والزعماء .

ولكي نحقق النجاح ونؤمنه نرى ضرورة ادخال العاطفة في جميع الاشياء ، فحياة الانسان تكيفها عواطفه ، بل ان العاطفة هي القوة الدافعة للحياة . فاذا اشتعل القلب ، شع العقل نورا .. يقول بيرون : « النور الذي يلمع في عينيك تاتي به النار التي تضطرم في صدرك » .

اما الاحساسات والمشاعر فهي الاساس في اثارة جميع اشكال الدافع . اذ ان جميع ما نراه من الاعمال الدقيقة ، الرفيعة ، الخالدة ، التي قام بانجازها كل من تيتان ورافاييل وليوناردو ديفنشي ، كانت نتيجة العواطف الحارة المتحمسة التي عن طريقها وتحت ظروف خاصة خلقت كل طرفة منها . فالفنان كما يقول الشاعر الالماني جيتيه : « انسان يمتاز عن سائر البشر ، فهو ياكل ويشرب مثلهم ولكنه يحس بغير احساسهم » .

والانفعالية التي احسن ترتيبها ، واجيد تنظيمها ، ضرورية للغاية . واني موقن تمام اليقين بان من الاخطاء الشائعة في تربية شبابنا ، اننا نبدأ معهم بتدريب الذهن قبل تدريب الانفعالات . فبدون المقدرة على الشعور بقوة ، لا يمكننا ان ننجح في تدبير شؤون حياتنا الضرورية . وارى من المناسب في هذا المقام ان انقل فيما يلي ما قاله احد الكتاب المعروفين :

« يجب علينا ان نقرر ونعترف بان الحياة الانفعالية هي الاساس او القاعدة للشروع في كل عمل سام ، رفيع ، وللوصول الى كل تفكير سليم نبيل . ونحن لا يمكننا ان نصنع الرجال اذا تجاهلنا العناصر الجوهرية في الرجولة . فلكي نعيش عيشة رغدة ، ميسرة ، موفقة ، يتحتم علينا ان نعرف الاشياء بوضوح وجلاء ، ونشعر بشدة ورغبة ، ونعمل بنبل وشرف . وبقدر ما سيكون هذا العمل سارا بهيجا ، سيكون لدينا ـ في الغالب ـ عملا نبيلا ، شريفا .. عملا يوحي به الشعور لا الفكر وينبع من الشعور لا من الفكر .. » .

والعالم لا يحكمه الفكر بقدر ما يحكمه الانفعال . والبواعث الدافعة ليست افكارا في العادة ، وانما هي مشاعر واحاسيس . اما الافكار الخاصة التي تتعلق بالمشاعر فهي غالبا ما تكون محدودة او مقدرة بما يبدو لنا من انها ليست الا مجرد ظروف فحسب .

والفكر يعتبر ميتا بدون انفعال . وللانفعال حياته الخاصة به ، وهو مستقل ، غير مرتبط بالفكر . والافكار ان هي الا ارواح هائمة ، واطياف شاردة ، تعتمد في حيويتها على تيارات من المشاعر مغنطيسية .

الادراك والارادة

وحين نعود الى التامل في حياة الاسرة يتضح لنا في الحال ان الاعتماد هنا يجب ان يكون في الغالب على انفعالات مرتبة على اتم ما يكون الترتيب ، ومنظمة على خير وجه . واني اذا قلت : « انفعالات مرتبة » فلان العاطفة لن تكون مأمونة الا اذا كانت تحت رقابة شديدة ، رشيدة ، وقيادة حكيمة من : الادراك ، والارادة .. وينبغي ان يكون في كل بيت مزيد من العاطفة الجياشة لتجعل منه جنة وفردوسا ونعيما مقيما .. اما الهم والكدر فلن يكون لهما مكان مع القصد السعيد ، والغاية الهنيئة . واما الغيرة الحقيرة ، والحسد البغيض ، والصغائر والمضايقات الدنيئة ، فهي تسلب من الحياة رونقها وبهجتها ، وتمحو من الوجود تناسقه وحسن ايقاعه ، وتحيل النعيم جحيما ، والراحة عذابا مقيما .

وليس ثمة اعذار تلتمس لهذا النوع من تلك الصفات ، فالشاب ينبغي له ان يبدأ حياته بالعزم والتصميم على احتضان احسن الانفعالات ، ولتنشئة نفسه على افضلها واقواها . وقد يلاحظ ان اسلوب الحياة الزوجية يسير في بعض الاحيان على نهج يبدو فيه طابع التعاسة مما جعل بعض الشبان يعرضون عن الزواج ، ويعزفون عن مجرد التفكير فيه . وكثيرا ما يواجهنا سؤال عن السبب الذي يجعل المحبين عرضة لان يصبحوا نفورين من بعضهم بعد الزواج مباشرة ، حتى ولو كانوا قد قضوا فترة طويلة في مطارحة الغرام ، واستجلاب الرضا في هناءة وغبطة ؟ فنجيب على ذلك بأن التجارب الجديدة التي كانوا يتطلعون اليها بشيء من السرور والانشراح ، دخلت في مشاعر اخرى متحركة ، اقرب الى القسوة والعنف . وكثيرا ما تنشأ المتاعب التي تنتهي في الغالب بالانفصال من تعقد الامور بسبب الانانية البغيضة والرغبة في التسلط .

فاذا تخلصت الرابطة الزوجية من رغبة التملك وحب السيطرة سواء أكان مبنيا على الرضا ام عدمه ، يمكن ان تظل الرابطة وثيقة العرى ، متماسكة الاركان . وانفعالات الحب يجب ان تتم بصورة مقنعة ، بدون اي اعتبار او تقدير لمنى العواطف . ويجب ان يكون كل انفعا لـ متفقا مع كل حرية تتلاءم مع العاطفة الاصيلة ، الحرة ..

وينبغي للزوج ان يظل لزوجته مثال الشرف والحنو والرقة . وان يكون هو ذاته العاشق الولهان المتيم بمحبوبته . ويحرص كل الحرص على ارضائها بكل الوسائل ، والتعبير لها عما يعتلج في فؤاده من وله وحب ، ويجب على الزوجة بدورها ان تبادله نفس الشعور ، وان تردد له نفس الحان الحب وانغام الهوى . وان تبعث فيه الثقة التي عرفها عنها قبل الزواج . وان تضع نصب عينيها ان الرجل يحب ان تكون زوجته دائما هي نفس الفتاة التي تزوجها ، تلبس وتتزين من اجله ، ولا تفكر في شيء الا اسعاده ..

بل هناك اكثر من ذلك ، فالزوج يجب عليه ان يربط بين النبل والقوة من الناحية التي يوجهها نحو العالم ، بالناحية التي يوجهها نحو زوجته ، فيوفق بين الرعاية الطيبة ، واللفتات الرقيقة التي يقدمها حبا طاهرا ، صافيا ، وبين اللطف والانس الذي يجب ان يبديه لاحدى المعظيات ، كما ان الزوجة يجب ان توفق بين كرامة ربة البيت وعزة نفسها ، وبين التيه والدلال الذي تصطنعه نساء المجتمع او المرأة اللعوب .

وهناك رجال عزب وفتيات عازبات يفتقرون الى الفهم . ولهذا السبب يجدون صعوبة شديدة في الالتقاء باخدانهم او الاجتماع بهم حتى ينعموا بالحياة التي نعتبرها طبيعية بالنسبة للرجل . ويبدو هذا بوضوح في كثير من الحالات الناشئة عن عدم وجود الغريزة الاجتماعية ، او الناتجة عن انفعال لم يحكم ضبطه ياتي في شكل تهيب واستحياء . ومن المحقق ان الاستحياء هو الذي يحدد حياة الفرد . فهو ـ كما اعتقد ـ احد النماذج الكئيبة ، السيئة ، للخوف والانفعال التي ورثها الانسان .

عناصر العقل

واذا سأل سائل : اذا استمرت الغريزة العاطفية او الانفعالية عند فرد في الاندفاع على هواها بدون تأمل او تبصر ، فكيف يتسنى لهذا ان يوقفها عند حدها ، ويكبح جماحها ؟ .. وهذا يتم على احسن وجه اذا وضعنا نصب اعيننا عناصر العقل الثلاثة ، وهي : الارادة ، والذهن ، والانفعال ، واذا صممنا مرارا وتكرارا على التمسك بها ، والاستمساك باهدابها ، والمحافظة عليها ، لتثبيت العلاقات وتوازن الصلات . فالارادة يجب ان تكون دائما العامل السائد ، الثابت . وان تكون بمثابة السلطة التنفيذية ، او الضابط الاداري الذي يقوم بتنفيذ الاشارة والبيسة رغبات كل من الذهن والانفعال . وكل ابتكار وابداع انما ينبع من الانفعال ، ولكنه لا ينبغي ان ينقلب او يتحول الى ارادة حتى يقرر رضا

الادراك . وفي اي حال من الحالات ، وفي اي ظرف من ظروف الحياة ، لن يكون في مأمن ذلك الشخص الذي يقول : « سأقوم بعمل هذا الشيء ولا يهمني بعد ذلك ما يكون ، سأقوم بعمله ولا يضيرني اذا كان مخالفا للعقل او بعيدا عن العدل والصواب » .

والانفعالات ذات طرازين شاملين : الاول ، مشرف يدعو الى السمو والرفعة ، والثاني ، مذل ، مثبط للعزيمة ، جالب للغم . وكلاهما يخدم غرضا نافعا . فلكي يحيا الفرد حياة حساسة ، محسوسة ، متزنة ، متوازنة ، يتحتم عليه ان يستفيد من جميع الانفعالات ، ويوفق بينها ، مستعملا اياها في تراكيب ومزاجات متناسبة ، متناسقة ، كما يفعل الرسام الماهر بالوانه المختلفة . اما عدم الاعتدال او الافراط في اي امر من الامور فهو يسبب الارتباك ، والفوضى ، والفساد .

ومن الاشياء الضرورية التي لا بد منها حين يكون الانفعال على اشده من السطوة والنفوذ ، وحين يكون سببا مباشرا في التعذيب العقلي او الالام البدنية الناشئة عن الغم والاكتئاب ، الشروع فورا في اقامة قيادة حكيمة ، ورقابة رشيدة ، وسيادة اكيدة .

والكفاح من اجل السيادة على الذات السفلي ، الضعيفة ، اقرب شبها بتسلق جبل عال ، قليل الانحدار ، كثير المنحنيات . وهذا الصراع المحتدم ، العنيف ، قد يتعرض له بعضنا في رحلتنا العقلية هذه .. وانا ــ كمرشد لك ــ سيكون من واجبي ان امدك بما تحتاجه من تعليمات ومعلومات وارشادات عامة . وهذا لانك ستجد نفسك في حالات كثيرة يتحتم عليك ان تمهد لنفسك طريقا خلال الغابات الكثيفة التي يكتنفها الظلام من كل جانب ، حيث العوسج والصخور ، حيث الريح تزمجر وتصك الاسماع ، واصوات الحيوانات المتوحشة التي تجوس بالقرب منك . فانت لا يمكنك ان ترتد او تنكص على عقبيك ، ولكن يجب عليك اما ان تستمر في السير وحدك بشجاعة وجرأة واقدام ، واما ان تبحث عن مساعدة شخصية من احد الذين قاموا برحلة من هذا النوع ، وفي هذا الطريق بالذات مرات كثيرة ، ليدلك على معالم الطريق ويشير لك السبيل الى (التخريمات) ، ويرشدك الى اسهل السبل الى المسالك المأمونة في الرحلة .

ولا تنتظر مني ان اضفي على صورة رحلتك شيئا من البريق المبهر لك سارة، مغرية، لذيذة، لاني اريد منك ان تعرف ان هناك عملا كثيرا ينبغي لك ان تنجزه . واريد منك ايضا ــ اذا اردت ان تحقق الكثير من المتعة ــ ان تشعر نفسك بالسرور والمتعة .

يقول وليم جيمس : « الذي يبدو لنا جميعا ان الانفعال يتتبع الاحساس . ولكن الواقع ان العقل والاحساس يسيران جنبا الى جنب .. فاذا سيطرنا على العقل الذي يخضع مباشرة للارادة ، امكننا بطريقة غير مباشرة ان نسيطر على الاحساس . ومن ثم ، فان الطريق المضمون الذي يفضي الى الابتهاج ، ان نعمد اذا ما فقدنا ابتهاجنا الى الجلوس في ابتهاج ، والعمل والتكلم كما لو كنا مبتهجين » .

واذكر في اثناء طوافك ان هناك ، في الافق الواسع ، فوق راسك، بين السحب القاتمة الداجية ، نجوما زهرا لا تفتأ تتلألأ بوميضها المتألق .. وامامك على البعد طريقا آمنا ، خاليا من المصاعب والمتاعب .. واذكر انها مجرد رحلة لا يهمك فيها الا ان تسلك السبيل السوي السليم ، حتى تتضح لك معالمه ، ويبين لك في نهايته نور النهار ...

وهناك عدة اشياء اخرى ينبغي لك ان تفهمها .. هي ان قواك الضعيفة الواهنة يجب ان تتحسن وترقى عن طريق تدريب امين ، مخلص ، مدعم بالمثابرة والصبر ..

ان الذي تحاربه وتناضل في سبيل الانتصار عليه هو عاداتك القديمة ، الراسخة ، التي غدت مع مرور الزمن اقوى من القوة . ولا يخفى علينا ان فينا جميعا ــ بفضل العادة وبسببها ــ ميلا غريزيا شديدا لسلوك اسهل السبل واقلها مقاومة .. فنحن نميل الى السير في الطريق الذي اعتدنا السير فيه .. نميل ؟.. بل اننا مسوقون سوقا ومدفوعون دفعا عنيدا الى هذا الطريق الذي علينا ان نسلكه ما لم نقبض على زمام الامور بايدينا ، ونعقد العزم على اننا لم نعد بعد عبيدا، بل سادة اعزة نسيطر على انفسنا ، ونملك ناصية امورنا .

والمسافر حين يعتزم القيام برحلة يجب أن يعقد النية على ارتقاء ذلك الجبل بالرغم مما قد يكون هنالك من وحوش ضارية او حيوانات مفترسة ، ويصمم على انه سيتغلب عليها بقوة قدراته الغريزية ، حتى يصل الى غرضه ، ويتوصل الى النقطة التي يستطيع عندها ان يروض هذي الوحوش ، ويخضعها لارادته .. يامرها فتطيع وينهاها فتنتهي ، وتكون جميعها رهن اشارته .

ولقد سمحت لنفسي ان استعير هنا لفظتي « الحيوانات والوحوش » من باب المجاز الى حد ما . فليس هناك من الوحوش الضارية ما يمكن ان نضفي عليها صفة المخادعة او المكر او الخبث او اللؤم او الاحتيال او المخاتلة او الغدر او الخيانة كما نضفيها على انفعالات الانسان. فمشاعرك يمكن ان تخدعك تماما ، وان تفتنك وتعبث بك ، وتسخر منك ، وفي امكانها ان تجعلك ترى الشيء مختلفا تمام الاختلاف عن حقيقته ، وتجعلك تسير على غير هدى ، وفي امكانها ان تغريك وتغويك باتنهاج الوجهة الخاطئة ، وتجعلك مقتنعا بالسير في الطريق المعوج .. حتى ادراكك يغدو غائبا عن وعيه تماما ، وحكمك معطلا معرقلا ، وارادتك مشلولة مرتبكة ، وتصير مدفوعا الى فصل مناقض لاحسن اهتماماتك ورغباتك .

سيادة الانفعالات

ان كل فرد انما يقع تحت سيطرة انفعالاته بدرجة كبيرة لا يسعه معها الا ان يتقبلها راضخا ، ويسلم بها ، او ان يكون ، في الحقيقة، على علم ودراية بها . وخيرنا من استطاع ان يتوصل الى قيادة خارجية معينة لا تعدو في الحقيقة ان تكون كبتا او قمعا للانفعالات . اما القلق ، والضجر ، والاستثارة ، والتوتر ، والخجل ، وعدم الثقة بالنفس ، والتشاؤم ، والتصور الساذج ، والحسد ، والغيرة ، والغضب ــ فهذه كلها انفعالات يجدر بك ان تحاول ما استطعت ان تتغلب عليها ، لا باخمادها او خنقها او دسرها ، وانما بالتخلص منها واقصائها عنك . وفي هذه الحالة يقول اميل كويه : « اذا ملكتك عادة تود لو تتخلص منها ، فلا تلق بها من النافذة ، بل اهبط معها السلم درجة درجة » .

وقد يأتي عليك وقت تعاني فيه يأسا شديدا ، او قلقا قاتلا ، او سخطا وغيظا، عندما تدرك انه كان ينبغي لك ان تبتسم وتعمل بسرور وابتهاج ، كالذين من حولك ممن يبدون في حالة طيبة مرضية . وستتملكك الرغبة في ان تسب وتلعن ، وان تقذف بالاشياء ، وان تصرخ وتبكي ، ثم تنفجر صارخا : « كيف يمكنني ان اطالب بان اكون سعيدا في حين اني اشعر بالتعاسة والشقاء ؟.. ولماذا تسير الاحوال بعكس ما اريد ؟ » .. نعم ، انها تسير ضد كل ما هو موجود فيك من ضعف وسلبية ، وهذا بالتقريب اكبر جزء فيك . واما الذي يجدر بك ان تشرع فيه فورا هو ان تقوم بمجهود كبير .. وفي هذا الصدد يقول هنري ثورو : « لست اعرف حقيقة اكثر تشجيعا من ان للانسان مقدرة فائقة على اعلاء حياته عن طريق بذل المجهود . فلو ان انسانا سعى الى ان يحيا الحياة التي يتصورها في خياله ، فسوف يصادف من النجاح ما لا يخطر له ببال » .

ويقول وليم جيمس ان الرجل يقاس بمقدار المجهود الذي يستطيع

---

(١) الاستبطان : حسب التعريف النفسي ، هو العملية التي بها تشاهد الذات ما يجري في الذهن من شعوريات بقصد وصفها لا تأويلها ، وما هي في الواقع الا عملية تذكر اما للماضي القريب او البعيد . وبعبارة اوضح هي طريقة من طرق دراسة النفس تقوم على ملاحظة المرء نفسه وتأمله ما يجري في عقله من افكار ومشاعر .

القيام به ، وان « الذي لا يمكنه عمل شيء ان هو الا خيال ، واما الذي يمكنه ان يعمل كثيرا وينجز كثيرا فهو بطل » .. ثم هو يوجه نظرنا الى الحقيقة الجوهرية الهامة التي تؤكد ان الجهد الوحيد الذي يحتاج الشخص الى القيام به هو : الجهد في التفكير .

ان لدى معظمنا فكرة بان الارادة معناها : جعل الفرد يعمل بنفسه شيئا ما ، او يعمل بطريقة معينة . ولكنها تعني في الحقيقة اننا نجعل انفسنا نفكر بطريقة معينة . والافعال انما تنمو وتبرز من الافكار والخواطر . وهذه الافكار التي تتحكم في الشعور او العقل الواعي وتتسلط عليه ، هي ذاتها التي تدفع الى العمل وتستحث اليه . والمسألة برمتها الخاصة بالارادة هي : الانتباه ــ الانتباه الى الافكار التي ترغب في تحقيقها ، والتي ترى ضرورة انجازها في حياتك ، والتمسك بهذه الافكار باصرار وحزم وثبات ، وتثبيتها امام العقل الى ان تملأه تماما ، وحفظ الافكار وصونها ، وتخيرها ، وعدم تركها وشأنها حتى لا تفلت وتبرح بعيدا . التي استعمل هنا كلمات « وليم جيمس » بنصها وفصها ، كلمة فكلمة ، وحرفا بحرف . انه يقول ايضا : « ان مأساة الحياة بحذافيرها انما هي مأساة عقلية ، والمشكلة كلها انما هي مشكلة عقلية » . وعلينا نحن ان نفهم وندرك المعنى الخفي الذي يستتر وراء هذا القول .

ومن الصعوبة التي لا يمكن ان تنكر ان نظل ابد محتفظين بالفكرة الصحيحة في عقلنا . والفرد حين يشعر او يتأثر بنهج معين ، فالميل انما يكون الى التفكير تجاه ذلك الخط فحسب . فاذا جاءت فكرات اخرى تفرض نفسها للفت النظر ، علينا ان ندفعها جانبا على الفور . واذا اردت ان تصغي باستمرار الى « الصوت الرخيم الهادي » ، صوت الادراك ، وان تبقى امينا مواليا للافكار الصحيحة ، على الرغم مما يعترضها من افكار اخرى سقيمة ، فانك بكل تأكيد ستحرز كسبا ونصرا وفوزا عظيما .

وانك لترى ــ قارئي العزيز ــ ان المقاومة الوحيدة التي يجدر بنا ان نتغلب عليها ونقهرها قهرا ، هي العادات القديمة الخاصة بالمشاعر التي تعمل كل ما في استطاعتها لتمنعنا من تركيز الانتباه على الافكار الصحيحة . وما علينا ــ اذن ــ الا ان نتجاهل هذه المشاعر بقدر الامكان ، ونطأها تحت اقدامنا ، متجنبين اياها ، معرضين عنها ، مبعدين اياها عن العقل الواعي . وبالاضافة الى هذا ، يجدر بنا ، بطبيعة الحال ، ان نعرض امام العقل ــ بكل الطرق الممكنة ــ الفكرات التي نؤثر اجلاءها ، والكشف عن غوامضها . وعلينا ان نستعمل الايحاء الذاتي بجميع صوره واشكاله ، بمواظبة واصرار وبصفة منتظمة . والايحاء الذاتي ــ بكل بساطة ــ هو حصر الانتباه لامعان الفكر في فكرة واحدة .

فمن اين تاتي هذه المشاعر المزعجة في بادىء الامر ؟ .. وما مصدرها ؟ ..

انها تتولد من الافكار والافعال . فجميع المشاعر انما تنشأ بهذه الكيفية . وهذه حقيقة هامة يجب الا تفوتنا . فاذا ارغمت نفسك عن قصد وتعمد ، وبتبصر واناة ، على ان تفكر وان تعمل بطريقة مختلفة فعالة فيها تحمس وصلابة وقوة ، فانك ستخلق مجموعة جديدة من المشاعر الطيبة التي تلائمك وتناسبك .

احكم مشاعرك

واذا ظفرت بالحصول على الشعور الصحيح ، القويم ، وجعلت منه ركيزة لك ترتكز عليها ، فانه سيدفعك الى هدفك قدما بدون اي عناء او مشقة . وبدون بذل اي جهد من جانبك سواء أكان عمليا او فعليا . وكذلك الحال مع المشاعر الخاطئة المؤذية ، فانها ستحثك على التدمير ، وتدفعك نحو الخراب والدمار ، ما لم ترد انت ان تكون هذه الاشياء على العكس من ذلك .

واذا انت سعيت بجد واهتمام الى ان تحكم مشاعرك ، وتسيطر على احساساتك : بقوة ادراكك ، وحكمك ، وارادتك ، فلا شك انك ستخوض غمار معركة كبيرة .

فانشط وقو نفسك استعدادا لهذه المعركة الفاصلة ، ذاكرا انها لا تخرج عن كونها عملا نافعا ذا فائدة كبيرة ــ فمعناها هنا : النمو ، والترقي ، والتقدم .

واذكر ان فيك ، في داخل نفسك ، في طويتك ، قدرة لا نهاية لقوتها ، بل ان لك من القوة اكثر مما تدرك . واشد بأسا من قوتك المقاومة ــ وهذه القدرة يمكنها ان ترفعك وتنقلك الى اي شيء ، والى كل شيء، وتسمو بك الى القمة اذا بذلت جهدك فيما يعودعليك بالنفع.

وانك لواصل حتما الى النقطة التي تبدو فيها المشاعر على قسمات وجهك واضحة بينة ناطقة بما تقوله لنفسك ، بينك وبينها :

« لقد خبرتك الان ، وعرفت ان ليس بوسعك ان تحكميني ، وان ليس لديك القوة التي يمكنك ان تسيطري بها على حياتي .. كفى ما نالني من اذى وسوء .. فانا من الان الى ان يشاء الله ، السيد المسيطر على نفسي وروحي .. انا السيد المهيمن على عقلي وافكاري ، وعلى جميع افعالي .. وعلى قسمتي ونصيبي .. وعلى حظي في الحياة .. انا الربان الذي يدير دفة ذاته .. انا حر » .

الاسكندرية عبد العزيز جادو

امتصان اليأس

بعد ماذا ؟
بعد ما فات الاوان .
بعد ان اسلمتني للياس ، هذا الافعوان
بعد ان اسلمتني للياس يمتص دمائي
قطرة من بعد قطره
بعد ان اسلمتني للياس شهرا
فاستحال الشهر عاما ، واستحال العام دهرا
انا لا اقبل عذرا
انا لا املك ان اصفح ، هل يصفح ميت

لم جئت ؟
اوتاتي بعد ان روضت اشواقي
فنامت واسترحت
اوتاتي بعد ان اخمدت اصوات حنيني
فاستكانت وهدات
اوتاتي بعد ان لففت نفسي بين اكفان امتثالي
وغفوت ...
لم جئت ؟
عد كما كنت ، فقد فات الاوان
عد كما كنت ، فما تبصر الا بعض ميت .

القاهرة عبد المنعم عواد يوسف

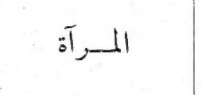

بقلم الياس خليل زخريا

★

عاقدة على خصرها من الزهو عقدتين اثنتين ،
برتقالية متهدل هدالها على اليسار ،
وبنفسجية مرتفع ارتفاعها على اليمين .
وتتغاوى في الاختيال لفتة متماسكة على عذويات غنة ،
من قنطرة البهو، الى مصراع الغرفة، الى ملتوى الرواق.
ثم الى كرسي المكتب المنزوي ، فمطاوي الإرتماء ، على مساند الديوان .
ثم الى البزة المبروزة في جلاء المرآة الواقفة مع الجدار الصامت .
وساق عارية ، شبه عارية ، تمدها بحذائها الجديد في وجه البيت .
جذلى بحذائها تنقر وقعاته على حبات الرواء نقرا خفيفا سريعا ،
الين عندي من خطفات السنونو على مسحات الهواء .

اما الجديلتان الطويلتان فتتساقطان كمسارب الخواطر
وتنهض بالكتفتين العاليتين حتى يلمس طرف الجديلة معقد الخصر .
ويفتح الدلال ، كله ، من المفرقين الى القدمين .
وتحني برأسها على شفة امها الراضية
... قبلات من هنا ...
... شمات من هنا ...
وربتة قاسية على الخدين من دفء الحنو .
ويا لتدافع الصور في معارج الخيال !!
ويا ، كيف تصبح الجديلة ، يصبح الحذاء ، تميمة غالية من تمائم المحبة
ومشى بيتنا كله في زوايا المرآة
وقد تكون ابنتنا على موعد ...

واحست المرآة بمضايق التنفس
في استيعاب الالوان المتزاحمة حيث كادت تنفلت
من انعكاساتها عقد الخصر المتمرع

وارسلت امها عينها الي من تحت النظارتين البعيدتين ،
فاذا بوجهي غارق في صفحتي كتاب كبير قديم
ـ مـاذا تقـرأ ؟!
ـ ورحت اقرا على امها بعض ما اقرا ..

« ضجر البحر من جرجرة الريح وجرجرة الهدير
القى بنفسه من الضجر على الرمل الموحش
شدت عليه الارض اليابسة بصدرها الضيق شدا
صار العباب من الملل خليجا هادئا موصدا
لم تتحرك في الخليج الا الموجة المتمهلة على جنبات الشاطىء
وقد تداعب الرمل مداعبة الود العائد من غربة الحنان.
وقد تتلاشى ملاشاة النفس المتهافت الى طمأنينة الموعد.
وتحطمت الصواري على المراسي الرازحة
ولم يبق للبحر من أمسه الصاخب الا الماء والصفاء ،
وبعض التأمل من الزمن القائم على السكون الغارق .
واشتاق اليم موجة من امواجه القدامى ...
وقالت حبة التراب لحبة السحاب :
ـ انزلي يا اختاه ،
عندنا ، تحت ، وعاء كبير طافح بالماء الراكد
ونزلت السحابة وحدها ، من فوق الى الخليج ، على مطارف الزرقة الصاحية .
والنسم النسم ، واسرى الخاطر ، وهمس الرمل ، وتحرك على المجداف طرف الشراع ..
... شق القمقم عنقه ..
انطلق من الهدوء والنضارة شلال العطاء
وسمعنا للماء ، من جديد ، على الواح النفس هدرة الهدير وجلجلة .. »

مسحت امها باصابعها اجفان عينها الصافية الحالمة .
« اغلق هذا الكتاب المثقل بغبار الشفاه والاطياف .
يتعبني منك انك لا ترى الا بعينك المغمضة .
افتح على الضوء هاتين المقلتين الضائعتين »

وسمعت ابنتنا تسرب حديثنا من وراء الباب .
وهرولت مرتمية برأسها على حرج امها ،
ولففت خصرها بالساعدين ضما وشما ،
واقمنا نحن الثلاثة بين صفحتي الكتاب القديم
... نقرا ، ونرسو ، ونبحر ،
ونشرع الجديلتين السارحتين في مدى الشوق ،
وشميم عميق من طراوة الشباب والامل المتفتح
على المرآة الصافية في خلجان المحبة
ويا ابنتــي
شكت الي امس عين المرآة
جديلتين
وحـذاء
وخصـرا

الياس خليل زخريا

الهجرة الى الداخل

التم كالسجين في لوحه
تمتصه الاصباغ لافسحه
اجمع اشتاتي كما يستذكر المجنون
من امسه المسكون
وانكسرت مرآته ، تبعثرت يداه
يلم منها وجهه لو انه يراه
خد هنا ، ونصف عين ههنا ،
ورب كسرتين من شفاه
تجمعان من « رمالات » الزجاج : آه

المني
اكاد لا اعرفني
واختلطت يداي
رحلت كم هاجرت في سواي
اعطيتهم خطاي
احرقت في موقدهم عصاي
ليدفاوا ، كانني سواي
وحينما رجعت « اولا » صاحت باسمي باكيه
قيل بانها تبيع الصبغ للعذارى
قيل بانها .. وقيل زانية
تلك التي قلت لها : يا غاليه
بدايتي انت ومنتهاي
رجعتها لانني سواي
نسيتها ، قلت لها اعود
وفي يدي الرغيف والورود
نسيت يا حبيبتي الوعود
نسيت ان اعود

ومر في انكسار
حصاني اليابس كالحجار
انكرته ،

اغلقت شباكي عليه كاد ان يقول
وكاد ان يمشي ولا يقول
.. سمعته يجرجر الخطى
كانها البكساء !!
والتصق الجدار بالجدار
وانهار
اسرجته بالامس — كان لونه البهار
يبرق كالصهيل

عصمت ان اكونني
وها انا حادثة مبعثرة
شيخوخة فاتلها تاريخها ما اكفره
وخطوتي مسوره
مسوره
مسوره
مسوره
كالمقبره

المني
اين انا يا كفني
اكاد لا اعرفني
اهذه حقا بقايا سفني ؟
اهذه تلك بقاياي التي ترسمني
اشياء هل كانت انا من معدني
كة شوهوها آه ما افقرني ، ابعدني
عني ، كاني رقع في بدني

غريبة انت علي الان يا اشتاتي الشتى
اسمال ما خلفه الموتى

لندن

صلاح النيازي

الى تلك الفتاة التي لم يواكبها الاستقرار في بدء حياتها الزوجية فكبا بها جواد حظها ... وراحت تنغمس في حماة الرذيلة موارية قلبها الناصع البياض في اعماق الخطيئة ..

اليها والى مثيلاتها اقول : ان في الحياة املا .. املا بساما .. وهذه « عودة الامل » .

●

رباه ماذا اسمع .. انه انين متواصل تارة .. ومتقطع تارة اخرى .. انه انين الم ممض .. فما عساني ان افعل لهذا الجار الذي دخل الحجرة المجاورة لي في الفندق قبل قليل ؟ انا لا اعرفه .. ولم اذكر انني **شاهدته في يوم من الايام** .. ولكن **سمعت عنه اشياء كثيرة** .. سمعت **من شخصيته ورقته وحنانه** ! .

سمعت كل هذا عنه قبل يومين فقط .. وكان مجيء هذا الشاب في هذه الفترة بعيد الاحتمال لانه يمثل بلده في الخارج ، ولكن هناك اشياء خفية في هذ الكون تربط حلقات متباعدة بحلقات اخرى بعيدة كل البعد عن تفكير الانسان وعن مدى استطاعته لربطها بقوته وقدرته!

لقد كان بي شوق لرؤيته ، شوق خفي اجهه ما سمعته عنه .. فاخذت تمتلج في نفسي شتى العوامل ازاء هذا الانين وازاء حب الاستطلاع ! أافتح عليه باب غرفته ؟ .. وانا الذي لم يقدر لي لقياه قبل الان ؟! احجم عنه وانا اسمع انينه .. ؟ وهو الفتى الذي طالما نازعتني الى رؤيته شتى الافكار والاحلام .. لا ... يجب علي ان اقتحم الباب لاساعده .. عله يحتاج الى المساعدة .. فماذا يحصل لو رآني امامه وامتدت يدي لتجفف دموعه وتمسح المه .. ؟ لا شيء .. لا شيء .. ! بل بالعكس ، سيقدر لي هذا الصنيع اذا ما استرد عافيته .. ! وبعد اخذ ورد .. يدفعني قلبي وعاطفتي معا للدخول .. وتشدني فكرة اخرى هي فكرة الخجل والحياء .. وكنت مترددة فترة من الزمن وجدتني بعدها اثر صرخة قوية انبعثت من الداخل .. افتح الباب بقوة وادخل عليه .. واذا بي أراه يقطع اللحاف باسنانه من شدة الالم .. وامتدت يداي محاولة الترفيه عنه .. فما كان مني الا ان شدت يداي على يديه اللتين تتصاعد منهما الدفء والحرارة ..

لقد شعرت بها .. وبيديه القويتين اللتين لا قبل لي بانتزاعهما من قضيب السرير الحديدي الذي يكاد يلتوي تحت شدة قبضتهما .. فخرجت مسرعة لانني لم اتمالك اعصابي اذ شعرت نحوه بشيء غريب .. هذا الشيء الذي فارق نفسي مدة طويلة .. وكنت اظن انه سوف لا يعود ..

هذا الشيء الغريب .. هو العاطفة التي استيقظت من سباتها

بقلم يعقوب عبد العزيز الرشيد

العميق فرافقها نوع من الحنان ، ونزعات اخرى من ميل خفي ، نحو حب خفي ، بدات تباشيره تشع في آفاق نفسي المظلمة المدلهمة والغارقة في بحر من الهم والالم والعذاب ..

وطرقت الباب على جيرانه الاخرين الذين طالما حدثوني عنه .. وقلت صارخة .. محمود ان صاحبكم احمد في حالة خطيرة والم قاتل .. ارجو مساعدته باستدعاء الطبيب .. وهرول الجيران الى غرفة احمد ودخلوها فوجدوه في اسوا حالة .

لقد مزق اللحاف والوسائد .. يضرب رأسه بالجدار بدون وعي .. وحاول الكل تهدئته واستدعوا له الطبيب .. وبعد قليل جاء الطبيب وكان صديقا حميما لاحمد .. لقد حقنه بابرتين تخدر على اثرهما وهدأ روعه بعد ان تلاشى الالم في اعقاب الابرتين ، وفتح عينيه وتكلم فكانت كلماته متقطعة لا تساوق بينها ، وذلك من تأثير المخدر القوي الذي حقنه به صديقه الطبيب ليبعد عنه تلك الالام .. وكانت آخر كلمة قالها .. ونظرة حنونة القاها على الحضور .. اشكركم شكرا .. جز ... يلا .. وراح في سبات عميق ! واخذت تعاود وجهه مياه الحياة بعد ان صوح الالم الممض اشراقة ذلك الوجه الصبوح ! .

وفي هذه الاثناء كنت احاول ما امكنني ان اهيىء له الجو الهادىء .. دون ان اعرف ما هي الدوافع لذلك .. لقد كنت انسانا بلا قلب .. اعيش على ذكريات عابرة بعيدة تشيع في نفسي بصيصا من الامل ما يكاد يطل برأسه حتى يختفي تحت تأثير ما انا فيه من واقع ... واقع الحرمان الذي جردني من كل عاطفة طيبة .. جعلت انظر الى الحياة بمنظار اسود كالح .. فاخذت اتمنى الشقاء للجميع .. واستمطر اللعنات على كل ما حولي من بهجة بنظر الاخرين .. حتى بلغت مراحل اليأس حد انتزاع جوانب الرحمة والانسانية من زوايا قلبي المغلق على هم دفين .. !

اما ماذا حدث لي عند رؤية هذا الشاب عند الهه وبعد ان شفي فانا نفسي ما كنت اصدقه .. لقد وجدت في قسمات وجهه وفي عينيه وفي حديثه الهادىء الرزين اشياء خفية اثارت كوامن الاحساس بي . فبدات اتحسس ما حولي وهرولت الى المرآة اتطلع اليها وعلى شفتي اسئلة حائرة قلقة كحيرة تلك القبلة الاولى والاخيرة التي التهبت فيها

القاسي .. عندما تفتحت براعم الحب في نفسي الهائمة في صحراء هذه الحياة القاحلة المجدبة .. تلك القبلة التي طغى عليها عارم الالم فغاضت في اعماق الحزن .. فجعلت شفتاي تتحسسانها وتنشدانها دون جدوى .. في فحمة الليل وفي بياض النهار !

واخذت اقول .. هل انا حقا كما يزعم البير ناقصة الانوثة ؟ .. وهل من جسمي تنبعث تلك الروائح الكريهة ؟ وهل انا طائشة نزقة ؟ .. وهل في حديثي ما يستحقه وينفر مني الناس ؟ ..

لقد هربت من وطني واتيت الى هنا لاتبين هذه الحقيقة التي ما برح خيالها يقرع نفسي منذ ان تركني البير .. ذلك الرجل القاسي الظالم الذي لاتعرف الرحمة سبيلها الى نفسه .. ولكنني مع هذا كنت احبه .. ولم يكن لي قدرة على نسيانه .. لقد كان البير بجانب قسوته رجلا كامل الرجولة تتبين من نبرات صوته العنف المطلوب في الرجل الذي انا بحاجة اليه كامرأة ضعيفة تبحث عن شيء يغطي هذا النقص . فوجدته في البير .. البير الذي تذوقت الحب على يديه مرة ما لبث ان غادرني كمغادرة « ومض الشوق في احداق سكران » .. غادرني بعد ان الهب نفسي واصبح خياله لا يبرح مخيلتي .. تتراقص اطيافه امام ناظري فتسد علي منافذ الحياة وتشل حركة تفكيري فاستسلمت له حتى بعد ان هجرني .. وذهبت اليه متوسلة استحلفه بكل ما زرعه في احشائي وما خلفه في جسمي من بقايا .. ولكن دون جدوى .. فاكتشفت فيه ذلك الانسان الذي يعيش على حطام الغير .. فارتضيت ان اكون ذلك الحطام ليمشي علي ويقتطف احسن ثمار جناتي في ربيع حياتي .. ارتضيت ان اكون له كل شيء .. بيد انه ركلني بعيدا ، بعد ان امتص دمي الذي وهبته اياه والذي مجه اخيرا .. فحاولت نسيانه .. ولم استطع .. فهربت من واقعي في لبنان الى الكويت .. علني اجد السلوى .. وها انا ذا اعيش فترة قصيرة من الزمن الى جانب احمد الذي اخذت اتحدث اليه بعد ان اطمأن قلبي اليه ! .. ..

وجدته متحدثا يشيع الامل في النفس .. مثقفا يغوص في الاعماق ليخرج الكلمة المناسبة في الوقت المناسب .. فهدأ وجيب القلب ورحت في الاحلام تتقاذفني امواجها .. تنتابني فكرة وتشدني اخرى وتطوف في مخيلتي هذه الاسئلة : هل ساجد في شخصية احمد ما ينسيني شبح البير وما غرسه في من حقد وكراهية للجميع ؟ .

لقد اتيت الى هنا فوجدت قبل ان ارى احمد شبانا مثقفين ترتسم على وجوههم امارات الذكاء والطيبة . ولمست من احترامهم وتأدبهم ما قد ازال عني تلك الفكرة السخيفة التي حاول البير غرسها في نفسي والايمان بها .. الا هي نفور الناس مني .. فاعتبرت ذلك اول مرحلة من مراحل نجاحي .. ولكن هل ساصل الى القمة في النجاح .. ؟

لقد بذر احمد في نفسي بذور الطمأنينة عندما ولجت غرفته في الصباح الباكر بعد ان شفي من وعكته .. وعندما استهل حديثه بابتسامة مشرقة قال .. اشكرك شكرا جزيلا على ما قدمته لي امس من مساعدة عندما المت بي تلك الوعكة .. وارجو ان اكون قادرا على رد هذا الجميل يا دورا ..

– انه واجب علي .. وساكون بجانبك في اية لحظة تريدني يا احمد .. واسمح لي ان اقول بانك نزلت في نفسي منزلة كبيرة .. وفي الواقع انا اسيرة لك ..

– ماذا .. اسيرة لي يا دورا ؟ .. بالله عليك خبريني كيف تكونين اسيرة لي في الوقت الذي يجب أن اكون اسيرا لهذا الفضل !

وهنا اخذت الكلمات تتعثر .. ولم اعرف لماذا قلت هذه الكلمة التي حاولت اخفاءها عن احمد .. نعم انني اسيرة له لانه انقذني من البير ذلك الذئب البشري ! .. فتلاشت صورته امام صورة احمد التي بدأت تشغل زوايا قلبي ويحتضنها هذا القلب برفق وحنان . هذا الحنان الذي عاود نفسي بعد ان رأيت الامل المشرق البسام في وجهه .. ولمسته في حديثه الذي بدأه عندما لمس في نفسي الحائر والحيرة القلقة .. بالامثلة المدعمة بقصص واقعية تكسب الانسان القوة والجلد على مقارعة خطوب الحياة .. واخر ما قاله لي في حديثه الهادئ الرزين :

– تمثلي دائما يا دورا بالحكمة التالية : « يا رب لا تدعني اصاب بالغرور اذا نجحت .. ولا أصاب باليأس اذا فشلت .. بل ذكرني دائما بان الفشل هو التجربة التي تسبق النجاح ! .. »

اذن .. لقد فشلت مرة في حياتي العاطفية ، وكاد هذا الفشل ان يسلمني الى اليأس .. واليأس معناه الموت .. وما دمت الان آمنت بما قاله احمد .. فلماذا لاافتح قلبي مرة ثانية علّه يهتدي الى واحة تظلله بعد ان سار في تلك المهامه المجدبة المموجة ! .

لقد فتح احمد امامي طريق الحياة الجديدة .. فهل اطمع بحبه لي .. ؟ لقد احببته .. ولكنه متزوج ولديه اطفاله وهو يعيش عيشة الاب البار الحنون وسوف لا يفرط بحياته وبعيشه الهادئ الجميل من اجل امرأة كانت الخطيئة تتقاذفها .. اذن سأطمع بصداقة احمد لانه قد مهد لي سبيل الحياة الجديدة ، وزودني بهذه القوة التي تسلحت بها لمواجهة البير الذي اصبح الان في نظري تافها حقيرا .

ان احمد يسألني الان .. فماذا

اقول له ؟ .. هل اصارحه بكل هذا؟ انه قد يحتقرني وينبذني وانا التي اطمع بالبقاء بجانبه لا لشيء الا لكونه قد اوجد في نفسي هذه القوة .. اجل سوف اصارحه .. واخيرا قلت له كل شيء حصل لي مع البير .. فانتظرت الجواب من احمد .. وهنا رايت نظرة انبعثت من عينيه كلها عطف وحنان .. وقال لي : انك لا تزالين صغيرة يا دورا .. وهذه التجربة التي مررت بها ما هي الا تجربة صغيرة بالنسبة لما يمر به الغير ، فلا تستسلمي لليأس وكوني اقوى من الايام واعنف من الخطوب .. وخططي لمستقبلك .. واذا كنت تثقين بي فاتخذيني صديقا يساعدك على مجابهة هذه الحياة !

انها كلمة قيمة يا احمد ، ولسوف اجعلها تعيش في حناياقلبي واستمد منها القوة لاجتياز هذا الطريق المحفوف بالمخاطر والاشواك . انني لا اعرف كيف اشكرك يا احمد ولكن سوف اترك ذلك للايام علها تكشف لك عن جوانب اخرى من نفسي التي كان لك الفضل الاكبر في غرس بذورها . الا هي جوانب العرفان بالجميل .. و .. وهنا وقبل ان انهي حديثي مع احمد دخل خادمه المخلص .. سليم .. وقال بعد ان حياه تحية الصباح وحياني .. ان موعدالطبيب قد قرب ويجب ان تذهب اليه لتاخذ الابرة المقررة !

وبعد قليل غادر احمد الفندق متوجها الى الطبيب . وطالت غيبته. وكانت في نفسي بعض الاشياء اود ان يعرفها احمد عني . الا وهي حبي له .. وبقيت انتظره ولكنه لم يعد في الظهيرة فازدادت مخاوفي عليه اذ انتابتني شتى الافكار والوساوس

هل اشتد به الالم ؟ وهل نصحه الطبيب بالبقاء في المستشفى ؟ ام ماذا .. كل هذا لمع في مخيلتي .. وانتهى النهار وتلاشت فلول النور امام جيوش الظلام . غير انه لم يات . وازف موعد العشاء الذي دعاني اليه الاستاذ ناصر .. فذهبت الى مكان الدعوة مع شلة من الاصدقاء .. وحاول الجميع ان يكونوا لطفاء معي ويخدموني بادب واحترام .غير ان المكان كله لم يسعني رغم روعته وجماله .. اذ يقع على شاطىء الخليج العربي ، ذلك الشاطىء الهادىء الجميل .. الذي تتكسر امواجه على رماله الناعمة .. والقمر تتراقص اشعته على اديمه المتموج اثر نسيم الليل العليل .. رغم كل هذا ورغم ما كان الشلة ينثرون امامي من احاديث طلية احيانا ومسلية تارة اخرى .. لم اقو على البقاء الى نهاية الحفلة .. فاستاذنت بحجة الصداع الذي الم بي . وقام الكل وودعوني .. فبلغت الفندق وكانت دقات قلبي تزداد .. هل ساراه في غرفته ؟ ام انهلم يات؟ وهل نام في المستشفى؟ وصعدت الطابق الثالث مسرعة ودخلت الصالون .. واذا بي ارى غرفة احمد مضاءة ولكنها مغلقة ، تنبعث من داخلها اصوات اشخاص . فطرقت الباب . وفتح فالقيت عليه نظرة بعد ان سلمت عليه وعلى الحاضرين . فوجدته يبتسم وقال تفضلي . هل تعرفين الاستاذ خالد ، والاستاذ يوسف ، والاستاذ جميل .. انهم اصدقاء الطفولة. وجلست بجانب الاستاذ خالد مواجهة احمد القي عليه بعض النظرات التي تنم عن كل ما يعتمل في نفسي من شوق زائد له . والذي زاد من طمانينتي هو انني لمست منه فهم كل ما ارمي اليه . فبادلني نظراتي بنظرات حنونة .. ورحت اسبح في امواج عينيه العميقتين وكدت انسى نفسي .. وتمنيت ان اغفو وانا في هذه اللحظات السعيدة .. الا ان ضحكة عالية صدرت من الاستاذ يوسف اثر نكتة رواها خالد .. خالد هذا المحدثالبارع والاديب الممتاز الذي يدخل السرور الى النفس .

فبدات التفت الى الحضور واشاركهم احاديثهم ونكاتهم .. فاخذ يسري في جسمي حديثهم ويشوقني المزيد منه وذلك لان احمد يتوج ذلك الاجتماع بتعليقه ونكاته اللطيفة .. وامضينا من الوقت فترة طويلة ولم ينفض سامرنا الا والساعة تقارب الثانية صباحا .. وذهبت الى فراشي لانام بعد ان ودعت احمد ورفاقه . وهيهات ان يجيئني النوم .. فحاولت ولكن دون فائدة .. فالشوق العارم يكاد يسلمني الى احضان احمد .. فاحتضنت الوسادة التي طالما مزقها باسنانه عندما المت به الوعكة ، فاحسست بانفاسه الحرى وكانها تنبعث في طيات تلك الوسادة .. فاخذت اضغط عليها جاعلة اياها على صدري .. اقبلها طورا .. واغرس فيها طورا شفتي اللتين هما بحاجةقوية لمن يعتصرهما ليسيل ذلك الرضاب الذي قد يطفىء حرقة القلب الصادي .. واخيرا غفوت بعد ان افرغت كل ما بي من احاسيس في هذه الوسادة . وفي الصباح الباكر نهضت وانا اسعد حالا من ذي قبل . وفتحت باب غرفته ووجدته نائما لم اشأ ازعاجه فرجعت الى غرفتي وطلبت الفطور . وكنت في هذه الاثناء اشغل نفسي بقراءة الجرائد الصباحية الى ان جاء الفطور فتناولته وكانت الساعة تقارب الثامنة صباحا وذهبت الى غرفة احمد ثانية فوجدته قد صحا من النوم فحييته تحية الصباح فرد باحسن منها والابتسامة على شفتيه . وقال تفضلي وطلب لي فنجانا من القهوة تناولته معه .. وبدات حديثي قائلة :

انني سوف اغادر الكويت الى لبنان غدا صباحا ودونك عنواني .. ورجائي ان تتصل بي عندما تزور لبنان .. لانني كما قلت مدينة لك فارجو ان تتاح لي الفرصة لرد بعض ما احسه نحوك .

ـ شكراً يا دورا .. وانا على اتم استعداد لكل خدمة تريدينها هنا في وطني ..

ـ شكرا يا احمد .. وسوف اودعك الان لانني ساكون مشغولة هذا اليوم خارج الفندق لانهاء بعض الالتزامات التي علي والذي ارجوه منك ان تتصل بي عندما تاتي الى لبنان او ترسل لي برقية لاكون في استقبالك في المطار . وهنا ودعته بعد ان تقابلت العيون وتحركت الشفاه مرتعشة كل في مكانها .. وخرجت مسرعة لانني لا اريد ان يرى الدمع مترقرقا في عيني .. فلمس ذلك .. ولم يشدد علي .. وودعني بكلمة حنونة قائلا : ارجو ان لا تعرف الدموع سبيلها الى عينيك مرة ثانية ولا الحزن طريقه الى قلبك .. وارجو ان ترفرف على حياتك طيور السعادة، وتغرد على جنباتها عنادل الصفاء .. هذه الكلمات اخذت ترن في اذني ويمر بخاطري هذا السؤال .. هل سيحقق الله لي معاني هذه الكلمات فاعيش نهاية العمر في عش الزوجية السعيد .. ؟ واحتواني الشارع الفسيح ..

وغادرت الكويت وانا اقوى من ذي قبل .. ووصلت لبنان .. فلمس اهلي في هذه القوة وسالوني ماذا حدث ؟ فاخبرتهم بكل شيء ، وكانوا يعرفون قصتي مع البير .. وقالوا ماذا ستفعلين معه ؟ .. فاجبتهم انني سوف اذهب اليه واطالبه بكل ما عليه من التزامات لي وما عليه من نفقة لابنتي .. فاستغربوا ذلك . وقالوا هل ستجراين على هذا القول لالبير .. فقلت نعم انني ساقوله بكل صراحة .. انني اكرهه .. اكرهه .. اكرهه .. اكره الذئاب البشرية لان في الوجود قلوبا اخرى تنبض بحب الخير ومساعدة الغير ، فلماذا اكون اسيرة لمصاصي الدماء ؟ انني بعد شابة وامامي مستقبل .. فلماذا اضيعه وراء هذا السراب الخادع ؟ ولماذا لا افتش عن واحة استظل بافنانها من هجير حياتي .. لقد عقدت النية على ان اخوض الحياة بقلب غير ذلك القلب ونفس غير تلك النفس الضعيفة الخائرة .

ماذا اريد من الحياة ؟ وماذا تريد الحياة مني ؟ انني فتاة جامعية .. بشهادتي وعلمي اتمكن ان اكون شخصيتي واخوض غمار الحياة العملية الجادة لا الهازلة لاقتطف من الحياة اشهى ثمارها بعد ان عبثت تلك البراثن الخبيثة بثمار جناني !

ومضى العام .. واحمد لم يات الى لبنان .. ولم ادر ماذا حل به لانني لم اتزود بعنوانه . وفي ذات يوم وانا جالسة في حديقة منزلنا الكبير انتظر خطيبي جاك : الذي تعرفت عليه اثناء عملي معه في البنك وهو من كبار الموظفين والذي كان قد تزوج من قبل .. ولكن القدر فاجاه باختطاف زوجته الشابة الجميلة زهرة ، بعد زواجهما بسنة واحدة .. وها نحن الان وقد مضى على خطبتنا ستة شهور ، وسيحتفل بزواجنا هذا الاسبوع .. واذا بالتلفون يرن .. ولا ادري لماذا خفق قلبي هذه المرة لرنات التلفون .. فقمت مسرعة .. واخذت السماعة واذا بصوت هادىء ينبعث من السماعة قائلا بكل ادب :

من فضلك هل استطيع التحدث الى السيدة دورا .. فاجبته نعم . دورا تتكلم .. هل اعرف من حضرتك؟ فقال انا احمد .. فصرخت .. احمد .. احمد .. انت هنا .. ارجو ان اراك الان لان عندي مفاجاة لك .. وبعد نصف ساعة جاء احمد .. واذا بجاك يدخل علينا الحديقة . فقدمته بقولي : صديقنا احمد الذي سبق وان كلمتك عنه في الماضي .. فرحب جاك ترحيبا حارا .. وقال : انها لفرصة سعيدة يا احمد ان تحل بيننا الان .. اين تسكن ؟

ـ في الفندق !

ـ لا يا احمد انك يجب ان تنزل هنا في بيتك .. لقد كلمتني دورا عنك كثيرا .. وهي في الواقع مدينة لك بحياتها .

ـ لا يا جاك .. انا لم اعمل غير الواجب المفروض علي ازاء دورا .. وارجو ان تسمح لي بعدم تلبية رغبتكم لانني اتيت مع اصدقاء لي لا استطيع التخلي عنهم .. وعلى كل حال سوف اكون تحت تصرفكم .. واشكركم على هذا التقدير وهذا الكرم .

ـ احمد لقد اتيت في الوقت المناسب .. ارجو ان اراك انت واصدقاءك في حفلة زفافنا غدا مساء ..

ـ انني كنت انتظر هذه الفرصة السعيدة يا دورا لاسمع هذا الخبر السار . انني سوف اكون هنا وكل اصدقائي الذين سبق وان تعرفت عليهم بالكويت وهم خالد ويوسف وجميل .

ـ هل جاءوا معك .. ؟ انني فعلا ساكون سعيدة برؤيتهم !

وحان موعد الزفاف .. واقيمت الحفلة .. واذا باحمد ورفاقه يدخلون وخلفهم شخص يحمل علبا كبيرة فيها من الهدايا الشيء الكبير .. وآخر يحمل سلة كبيرة من الورود يكاد ينوء بها كاهله .. وثالث يحمل قفصا ذهبيا وبداخله بعض العنادل تغرد تغريدا متواصلا بعثت البهجة والسرور في قلب الزوجين اللذين استبشرا خيرا في حياتهما المقبلة وانتحى الاربعة مكانا قصيا في الحديقة ، وتوافد المدعون للتهنئة .. وصدحت الموسيقى ورقص الراقصون .. وانتشى الحاضرون فاصبح الكل في فرح ومرح .. ولفهم الليل فغاصوا في اعماقه ولججه !

عمان   يعقوب عبد العزيز الرشيد

محـروم

الى عبد الله الفيصل صاحب ديوان « من وحي الحرمان »

***

مهجتي ، مد بها ، شجو الرحاب — والجوى ، مني يرويه عـذاب
موعدي ، في العز ، موجوع الهنا — فاته البوح ، واغـراء المصاب
وهيامي ، شف ، حتى لوحت — في الاماني ، رعشةاللقيا ، وخاب

التـطلات ، غمـرن المرتجـى ، — وشوشات ، صبها البث كـذاب
ويحـه عمري وكـم خافقـة — اومات فيـه ، فلاقاها التهـاب
محتدي ، باسي ، بلادي ، امتي ، — اسطـر ضاءت ، ومجد يستهاب
وابي .. اي سؤال عـن ابي .. — فـي الشهامات ، ينديـه الجواب
زينت الدنيا ، به ، وارتفعـت — كبرياء العرب خلقا وصـواب
قلبـه حبـي ، واذ خبـاتـه — نشر التاريخ فـي النجوى وطاب

يـا مواعيـد الشذا ، وددن لـي — صبوة الذكرى تولاهـا اكتئاب
نشوتي ، في رجـع ما اكتمـه ، — تعصر الوصل ، وتسقيني الرغاب
حر من لفح النوى ، همي ، ومـا — في انتظار البيـد للآسي شراب

شقيت بعدي المنى ، في حسرة ، — ما على الظالم ، لي ، فيها عتاب
ام فؤادي ، حظه ، في ما هوى ، — لوعة النجوى ، واوهام الشباب
يا سرابا ، هف يطـوي حلمـا ، — انت في ارض الرؤى غير سراب
طيب التـوق ، صدى صحرائنا ، — فتنشقت ، مع الهجر التـراب

ذلـك الرمل ، افدي دفئـه ، — واقيـه الوجد بالشوق المذاب
غرت من آهي على آهـي ومـا — حيرتـي ، الا بآلامي العـذاب
واله شعري ، وحسبي في الدنى، — لذة التيه ، انا المحبوب غـاب

جـورج رجـي

التجربة في صور البيان

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

هذه تحليلات بلاغية لتراكيب ، وصيغ من التعبير الادبي حديثة ، ومستجدة ، تقوم بها وفاء بالبلاغة العربية الحديثة ، والتي آلينا ان لا نتنازل عنها ، ولا عن اصالتنا فيها .. وللذلك ان يد النقد الادبي ، والدراسة الادبية تل ان تطول اليوم هذه الصور من البيان ، من حيث انصراف النقاد ، ودارسي الادب اليوم ، الانصراف الكلي تقريبا عنها الى غيرها من مسائل النقد ، والادب الحديثة، فيجملون فيها القول ، او يمرون بمواضع الحسن فيها مرور الكرام ، وتظل دون دراسة متأناة ، او دقيقة ..

وسوف نستعرض في هذه التحليلات البلاغية الجودة والجمال ، او ايضا الرداءة والقبح ، معللين ، شارحين ، وناقدين ، خاصة وان الدراسة البلاغية اليوم تحليل مستقصي للاسلوب ، وصور البيان فيه ، تخدم النقد الادبي ، والذي يجب ان يبتنى على خبرة واسعة بها ، وترفده بالاصول ، والقواعد (١) .. اذ بعض هذه التراكيب ، كما سنرى ، قوي جميل ، صحيح مطبوع الوجهة النحوية ، او البلاغية ، وبعضه على العكس مهلهل ، فاسد ، ومضطرب من هاتين الوجهتين من النظر ، او من احداهما دون الاخرى ..

١ ـ يقول سعيد عقل في تمجيد الوجود الانساني ، ونسبة تمجيد الجمال اليه :

لاننا في الوجود ، كانت لفتة منا الى الجمال ..

البيت ينطوي على تركيبين بلاغيين منحوتين على التعبير العادي ، لنقل العامي ايضا ، او منحوتين ايضا على النثر نفسه ، وهما القصر بواسطة تقديم ما حقه التاخير ، ثم الحذف .. ومضمون البيت فكرة وجود لفتة الى الجمال بسبب الوجود الانساني . فقدم ما حقه التاخير ، وهي جملة : لاننا في الوجود ، وحذف فيها خبر أننا ، والذي يجوز اضماره ، ويجوز اثباته على نعت من النعوت ، او امر من الامور ..

كانت هنا فعل تام ، بمعنى وجد ، وصيغتها لا شك اكثر ايحاء من صيغة وجد ، اي مجرد حدوث الفعل الموجود ، او القائم ايضا ، وذلك لدلالتها على الزمنية ايضا .. واذن هي عامل تلقين فكري ، وايضا حسن بياني .. وجمال البيت بالفعل في (القصر) الذي فيه ، اي تخصيص أمر بآخر (٢) ، وواسطته تقديم ما حقه التاخير ، فخصصت اللفتة الى الجمال كشيء وجد ، بالوجود الانساني ، واعطيت الاهمية للوجود الانساني في التعبير ، وتوفق الشاعر في اظهارها ..

٢ ـ يقول خليل خوري في السلوان ، ازاء عودة حبيبة غادرة :

« تتنكرين ؟ . وليس يستره الرداء ، ولا قناعك !؟. ما وراءك ؟. توبة اخرى ؟. ولكن الجدار .. ولست ربا ، مات غفراني ، وليس لعازرا ، احرقت رايات الغواية ، بعتها ، ما عاد يرميني السعار ، الى متاهات الدوار ! .. »

هذا الشكل من النظم جديد ، لا نعرفه بالفعل الا في محاولات لخليل خوري عدة (٣) ، انه شكل عروضي بياني يستغني عن القافية ، فيمد القول الشعري الموزون الى حدود الاستدارة ، حدود الجملة ، او ايضا حدود الفقرة ، ليستوعب موقفا من وجدان ، او فكرة من تجربة الحياة ..

وليس لهذا الشكل العروضي البياني من النظم بعد ، من اسم يسميه ، فيميزه ، لا في العروض الحديث ، ولا في البيان الحديث ، انه من البحر الكامل ، وهو بحر صاف على حد تعبير المشترعة العروضية « نازك الملائكة » ، ومحبب الى نفوس الشعراء المحدثين الذين آثروا التفعيلة ، وجرسها الايقاعي في الاذن .. فماذا نسميه ؟ ! .

لقد افترضت نازك الملائكة هذا الشكل افتراضا في كتابها « قضايا الشعر المعاصر » اي تمثلت وجوده ، وتصورته ، ومثلت عليه بمثال (٤) ، افترضته ايضا افتراضا ، لم ترفضه .. ولكني عند رايي الذي كنت ابديته في نقدي لكتابها المذكور ، من وجوب اعادتها النظر في الكتاب ، وفي احكامها المبنية فيه ، وكنت بالفعل اول من نبهها الى الايقاعات الموصلة والمفصلة العربية ، واثرها في العروض ، والموسيقى ، وضرورة افادة منها في تأصيلها العروضي ..

واقترح ، ما دام ان هذا الشكل يعتمد التفعيلة للوزن ، وما دام انه ياخذ شكل الفقرة ، او الاستدارة ، او الجملة، بحركتها ، او طولها ، او اعتراضها بعضها لبعض .. اقترح ان يسمى الشكل « ترسل التفعيلة » ، والفقرة، او الجملة فيه « فقرة تفعيلة » ، او ايضا « جملة تفعيلة » .. والصور الاسلوبية البلاغية (٥) في الفقرة هي :

ـ تتنكرين ؟. ـ الاستفهام هنا للتعجب ، ويشرحه تأكيد القول الشعري بعده ، ان لا مجال للتنكر ، اذ لا رداء بعد يستر ، ولا قناع ! .. توبة اخرى ؟. ـ هنا حذف اي هل وراءك توبة اخرى .. ـ ولكن الجدار .. ـ الحذف هنا غير تام ، ومعمى ، لان التركيب النحوي نفسه لم يتم ، وظللنا نسأل عن خبر لكن .. ثم جاء الالتفات ـ ولست ربا ـ ، ويمكن اعتباره اعتراضا ، ومثله اعتراض ـ وليس لعازرا ! ـ .. الجمل الاخيرة فيها اطناب ، اي توسع في شرح الحال ..

٣ ـ هذان بيتان من الشعر العمودي للشاعر يوسف

الخطيب ، كررهما مرتين في قصيدة قومية - عمودية ، يفتتحها بهما ، وهما :

عناقا لك الصبح رغم الظلام   ويا املا غائرا في الالم
عناقا لك النار تحت الرماد   ويا ثورة في بطون الغيم

في المرة الاولى يرد فهما بقوله :

لاوشك في الليل ان استفيء   بأجنحة الصبح آن ادلهم

وفي المرة الثانية يقول أثرهما :

هذا امة فرعها في السماء   وفي كبد الارض منها القدم ..

وفي نظري ، كل من التركيب النحوي ، أو التركيب البلاغي في البيتين غريب ، وناقص ، التركيب النحوي لا يشف عن عامل نحوي ، والتركيب البلاغي لا يفصح عن معنى واضح .. ولذلك اظن انهما بحاجة الى ان يعيد يوسف الخطيب فيهما النظر ، ويصححهما ..

يمكن ، على الارجح ، ان يفهم منهما المعنى التالي ، والذي يمكن صياغته بـ : يا املا غائرا في الالم عناقا .. لك الصبح رغم الظلام .. والمعنى في البيت الثاني مثله ..

وعلى افتراض ذلك ، يكون الشاعر قدم صيغة المفعول المطلق ، على جملتين ، لك الصبح ، ويا املا ، وهما موصولتان بالواو ، ولكن جملة — ويا املا .. — ظلت بدون جواب .. ومثلها الجمل في البيت الثاني ..

ويجوز ، وذلك راجع ، ان يكون الخطاب لصديق متخيل ، او للشاعر نفسه ، فيكون المعنى : عناقا يا شاعري لك الصبح رغم الظلام .. ويا املا غائرا في الالم عناقا .. ومثله التقدير في البيت ، ولكني اظن انه لا يحق كل هذا التصرف ، بالحذف او الوصل ، او التقديم ، والتاخير للشاعر .. والله اعلم ..

٤ — هذه الابيات للشاعر محمد عمران ، اجراها على لسان «شهريار — ، رمز الانهزام في نظره ، قال :

في اضلعي تختنق المدينه
تساقط الشوارع الحزينه
يموت تاريخ من الغبار والغباوة
في اضلعي مقبرة ، نهر من الضراوة ..

الصياغة البلاغية العامة في هذه الابيات تعتمد الاستعارات المكنية : — تختنق ، تساقط ، يموت .. ، ثم التلميح (٤) : — مقبرة ، ضراوة ، وهي عامل حسن ..

ولكن سر الحسن في الابيات تقديم شبه الجملة — في اضلعي — ثم تكرارها ، ان تقديمها يلفت الانتباه الى مكان التجربة ومكانتها ، اما تكرارها فيؤكد الاسى ، الذي للتجربة ، والانهزام فيها ، والقنوط لها ..

التلميح في البيت الاخير مركز ، وعنيف حقا ، ويذكر بقصة شهريار مع غوانيه التي كان يذبحها كل صباح ، بعد أن يشبع منها نهمه ، انه تلميح واضح ايضا ، والتراكيب كلها رمزية واضحة ..

٥ — من طرائف شاعر العرب أمين نخلة في الطبيعة والحياة ، هذه الابيات :

يا غصن ، يا مضنى بلا سبب   مل حولنا ، يا غصن ، يا مضنى
يا نرجسا نعسان من وله   قم من فراش الغنج فغازلنا
يا ورد ، يا ابن الرقة اختبات   في ظلك العشاق خبئنا ،
يا عشب ، يا نقش الوهاد وبنا   لج المروج ، وبحرها الادنى :
جئنا بركب الحب هرولة   في دارك الخضراء انزلنا ..

انها مجموعة طلبات بوحية وجدانية يوجهها أمين نخلة للغصن ، والنرجس ، والورد ، والعشب ، تراكيبها غاية في الابداع ، والجمال ، والقوة ..

في البيت الاول نلاحظ تكرارا لبعض الالفاظ : — يا غصن ، يا مضنى .. — ، مما يمكن اعتباره جناسا تاما ، في البيت الثاني طباق بين النعس من حب ووله ، والنوم في فراش الغنج ، والقيام للمغازلة . في البيت الثالث جناس بين — اختبات ، وخبئنا .. — ، في البيت الرابع تقديم لشبه الجملة — في دارك الخضراء .. — قصد التفخيم ، والتلذذ بالتنويه ، واصلها : انزلنا في دارك الخضراء ..

اما صيغ الامر ، فهي في الابيات الثلاثة الاولى للتودد ، والملاطفة ، في : — مل حولنا ، قم ، وغازلنا ، وخبئنا .. — في حين صيغة الامر في البيت الاخير ، — انزلنا .. — فدعاء للالتماس ، وطلب الشيء ..

٦ — يقول علي كنعان في وصف الركود ، ثم النهضة :

ولان ضيعتنا تعيش بلا نسور
ولاننا فيها ، نادمان ، نعيش على القشور
الياس قرش في جوانحنا ..
فانهار المداد
يجري بلا جدوى .. بلا جدوى ،
كما نثرت بذور
فوق الصخور ..
وعلى الذرى السمراء
كان النسر يحيا كل اوجاع المخاض ..

هذه الفقرة الشعرية الموزونة المقفاة ، كما اقترحت التسمية مرارا ، تحوي على تراكيب جميلة قوية ، متنوعة .. انها تلاحق وصف الياس للجدب ، ثم الارهاص للنهوض ، وهي تعتمد الاستعارة المكنية في — تعيش ، وشرش .. — ، والتمثيل في تشبيه جريان المداد بدون جدوى بنثر البذور فوق الصخور ..

---

(١) — راجع في ذلك كتابنا : — الدراسة النفسية ، والبلاغة .. ففيه توضيحات مختلفة . (٢) — نرجع ذلك ، على كون جمال البيت بسبب (المذهب الكلامي) ، والله فيه . (٣) — راجع مثلا في ديوان : — لا در في الصدف — لخليل خودي قصائد ليل بلا نجوم ، والشمس والنمل ، واغنية الى الشيطان .. (٤) — راجع : — قضايا الشعر المعاصر — لنازك الملائكة ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٩٨ . (٥) — يجوز نعت صور البيان باسلوبية بلاغية ، في كتابنا : — الاسلوب وصور البيان — توضيحات ذلك .. (٦) — التلميح نوع من (التضمين) ، ويكون بالاشارة الى قصة ، وهو صورة بيانية شائعة اليوم بكثرة عند رواد الشعر الحر ، سواء بالشكل العادي ، او الشكل الرمزي منها .. (٧) — وهنا نرجع ايضا كون جمال البيت (القصر) ، لا المذهب الكلامي

صيغة لان ، المكررة : ــ لان ضيعنا ، ولاننا . . ــ تذكرنا بمثيلتها عند سعيد عقل ــ لاننا في الوجود . . ــ انها بالفعل صيغة شعرية (٧) مستحدثة يكسبها الاستعمال الشعري الحديث ، يوما اثر يوم ، قوة ورونقا . .

هذه الفقرة الشعرية ، في مجموعها ، اذن دليل على المساواة ، وهي نوع من الايجاز ، ويكون فيها المعنى على قد اللفظ لا يزيد عليه ، فلا حشو ، ولا بهرج ، ولا سفسفة ، وانما كلام مفيد . . نعم يوجد تكرار في الفقرة هو ــ بلا جدوى . . بلا جدوى . . ــ ، ولكنه تكرار في موضعه ، ويلبي حاجة الوجدان الى التعبير عن مضمونه . . اي انه يظهر حال الكتابة هناك ، واذن فاللفت الى الحال قيم ، ومفيد . .

٧ ــ يقول محمد احمد العزب في الصيف :

الصيف كان واحة الذين يتعبون
ومرفأ الذين في الشتاء ينزفون .. ينزفون
عرائس الكروم كان
واتكاءة السمر
ورقصة النماء في الجذور
وارتعاشة الوتر
الصيف كان كالقدر
يوزع الظلال في الغصون
والضياء في العيون
ويستريح في مخادع القمر ..

هذه الجمل الشعرية جميلة حقا ، لولا صيغة ، بل صيغتان من تقديم وتأخير ، اعاقت المعنى عن بلوغ موضعه من الوجدان . .

يقوم التركيب في البيتين الاولين على التقديم والتأخير ، تقديم الصيف في : ــ الصيف كان . . واحة ، وتأخير ينزفون في : ــ الذين في الشتاء ينزفون ــ ، ولعل ذلك بسبب التكرار ، او بسبب الضرورة الشعرية العروضية . .

هذا التركيب كابتداء ، اي كمطلع لقصيدة جميل ، ومعبر وجائز من الوجهة النحوية ، اذ يفيد زيادة تحديد ، ولكن تأخير كان في الجملة الثانية في : ــ عرائس الكروم كان . . و . . ــ غير مناسب ، وغير جميل ، لانه تكرار لتركيب نحوي سابق ، استنفد طاقة الانتباه ، واتعب الذهن . . ولذلك بهت التركيب الاخير : ــ الصيف كان كالقدر ــ ، ومهما حاولنا تبرير التركيبين بحرص على تأكيد ، على لفت الى شيء ، الى موضوع نكون متعسفين .

في هذه الجمل الشعرية الى جانب ذلك اطناب ، اي توسع في وصف ، وهو هنا بواسطة التشبيه ، التشبيه بخبر كان : ــ واحة الذين يتعبون ، مرفأ الذين في الشتاء ينزفون ، عرائس الكروم ، اتكاءة السمر ، رقصة النماء في الجذور ، ارتعاشة الوتر . . ــ ثم الاستعارة المكنية ــ يوزع الظلال ، يستريح في مخادع القمر ، وهي شيقة . .

٨ ــ تقول نازك الملائكة في الطبيعة ، والحياة :

وعد في شفة الزنبق غطى المرج شذاه
وتالق فجر منبثق فوق مسافات مبهورة ،
ونسائم تعبر في وديان مسحورة ،
ان شاء الله ، رؤى اغنية طافحة وندى وصلاه ..

هذا المثال القيم لفت نظري بالفعل البيت الاخير منه او كما تقول نازك الملائكة الشطر الاخير منه ، ويقوم على تركيب نحوي ، وقد حرت حقا في صيغة : ــ ان شاء الله ، رؤى . . ــ اتكون صيغة دعاء ، ام صيغة تمن ، ام انها تحتمل الوجهين ؟!

فاذا كان الطلب التماسا من الله ، او من قوة علوية ، فهو دعاء ، ولكن لا شيء هنا يشعر بالدعاء ، ولا بالطلب ، ولا بالالتماس من قوة علوية ، او من الله . . واذن الارجح ان تكون الصيغة صيغة تمن ، حذف فيها فعل التمني ، ومؤداها اتمنى ان تكون . .

هذه الابيات ، وهي كما تبدو قريبة من الهمس الشعري الشعبي ، او العامي ، من وزن جديد في الخبب ، دعت اليها نازك الملائكة ، وهو اصطناع مفتعلن الى جانب فاعل ، وفعلن ، وفعلن فيه ، وانا نرجو لهذا الشكل من الخبب الذيوع ، والانتشار خاصة وهو يقربنا من وجدان الشعب ، ولغة الشعب ايضا . .

في الابيات استعارة مكنية : ــ غطى ، وتعبر . . ــ وفيها تقديم للمفعول في : ــ غطى المرج شذاه . . ــ ، والبيت الاخير الى جانب صيغة التمني فيه ، لنقل الشعبية ايضا ، ظاهر الايجاز ، يجمع المعاني الكثيرة في الفاظ قليلة ، معطوف بعضها على بعض : ــ رؤى اغنية ، وندى ، وصلاة ــ امنيات عزيزة لها . .

دمشق عدنان بن ذريل

انشودة الغرباء

حتام نعيش غرباء
في صحارى الشوك
نحمل عار اللعنه
حتام تفرقنا القلمة
يلطخ وجوهنا الغبار
نلف زادنا اليابس
في مناديل مهترئة
ثم نصطاد الحيتان
لا تسالوا اين نمضي
دروبنا تغيم في الضباب
امالنا من بعضها السراب
تبصقنا الابدية
كقطعة المرار

اللاذقية عيسى فتوح

سعيد الكرمي - رفيق التميمي

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ الشيخ سعيد الكرمي

روى الشيخ سعيد الكرمي للسيد خير الدين الزركلي صاحب «الاعلام» ان اسرة « الكرمي » تنحدر من عرب اليمن الذين جاؤوا مع عمرو بن العاص لفتح مصر . ولما فرغ ابن العاص من فتحها قسم اراضيها على الفاتحين ، بامر من الخليفة عمر بن الخطاب ، وكان سهم هذه الاسرة في اقليم الشرقية الذي سكنته عدة قبائل ، ولم يزل اقارب اسرة « الكرمي » في ذلك الاقليم معروفين باسم : « بيت النحار » . واول من جاء منهم الى فلسطين جد والد الشيخ سعيد الذي نترجم له ، اذ نزح عن مصر مع من نزح من اهالي قرى مصر لاسباب اختلفوا في تعليلها ، فمن قائل:ان نقص النيل عن ارواء الاراضي هو السبب الاول ، ومن قائل ان الضرائب التي فرضها « محمد علي » رأس الاسرة العلوية ، على الاهلين ، هي السبب في حملهم على الهجرة .

ولد الشيخ سعيد الكرمي في طولكرم بفلسطين عام ١٨٥٢ (وتوفي عام ١٩٣٥) ، واتم فيها دراسته الابتدائية ثم بعث به والده علي بن منصور الكرمي الى الازهر الشريف ، جريا على عادة اسرته ، وحضر دروس الشيخ جمال الدين الافغاني واتصل بالشيخ الامام محمد عبده، وبقيت الصلة وثيقة ودارت مراسلات من الود والتقدير بينهما .

وبعد حصول الشيخ سعيد على الشهادة العالية عين مفتشا للمعارف في قضاء بني صعب ـ قضاء طولكرم ـ ثم اصبح مفتيا لذلك القضاء .

وبعد تخرجه من الازهر قويت فيه ملكة الادب والبحث والتعمق واسهم في حركة الاذهان لا فلسطين وحدها بل في بر الشام .

ولما ذر قرن النهضة العربية في اواخر العهد العثماني ، وتالفت الجمعيات العربية الوطنية انتمى الشيخ الكرمي الى حزب اللامركزية العثماني واصبح معتمده في قضاء بني صعب . وعندما اعلنت الحرب العالمية الاولى وزعت منشورات في دمشق تدعو الى الانتقاض على الاتراك موقعة باسم « حزب الثورة العربية » فقررت الحكومة العثمانية ان هذا الحزب هو فرع ا « حزب اللامركزية العثماني » فانبرت لمطاردة اعضائه والقت القبض على حافظ السعيد (يافا) والشيخ سعيد الكرمي (طولكرم) وسليم عبد الهادي (جنين) وعلى الكثيرين من اعضاء حزب اللامركزية العثماني في انحاء البلاد وساقتهم الى المجلس العرفي بعاليه (لبنان) .

وفجر يوم ٢١ آب ١٩١٥ نفذ حكم الاعدام في احد عشر شخصا من الذين حوكموا مواجهة وارجيء اعدام اثنين هما : حافظ السعيد والشيخ سعيد الكرمي ، ولتقدمهما في السن ابدل حكم الاعدام بالسجن المؤبد ، لكن حافظ السعيد توفي بسجن عاليه وبقي الشيخ الكرمي سجينا مدة عامين و٧ شهور . ونظرا للمساعي التي بذلها الشيخ عبد القادر المظفر لدى جمال باشا (الصغير) صدر عفو عن الشيخ الكرمي ورفيقه في السجن الاستاذ محمد الشريقي في شباط ١٩١٨ فخرجا من سجنهما وعادا الى الحياة .

روى الاستاذ محمد الشريقي للاستاذ عجاج نويهض حفنة من اخبار الشيخ الكرمي وهو في سجن عاليه مع رفاقه الذين تالفت منهما قافلتا الشهداء الاولى والثانية هذه بعضها :

الاولى ـ كان رئيس المجلس العسكري ضابطا تركيا اسمه فخري بك وكان اعرج ، ويبدو انه احب التشبه بالظالم تيمورلنك حتى في العرج .. وبعد ان علقت القافلة الاولى في ساحة الشهداء ببيروت (بعد منتصف ليل ٢٠ ـ ٨ ـ ١٩١٥) وانتشر باعة الصحف ينادون معناوين ملهلة .. اتفق ان مر فخري بك بالشيخ الكرمي في باحة السجن ، عمدا او عفوا ، فتطلع نحو الشيخ فرآه واجما وجوما بليغا فقال له بالتركية بلهجة ملؤها الهزؤ والسخرية : « اقرأ الفاتحة على ارواحهم ! » فانتفض الشيخ سعيد من مقعده وقال لخليفة تيمورلنك : « اتقول لي مثل هذا الكلام ايها الكافر ؟ انك لست مسلما ! » فاخذت الصرخة الاعرج مذعورا وولى هاربا !

الثانية ـ عندما كانت موسيقى الجيش تمر في الشارع العام ، قرب سجن عاليه ، تشنف الجمهور بانغامها العذبة .. وقف الشيخ سعيد يهزأ بها على ملأ من الناس ويصرف لها الفاظا لاذعة .

الثالثة ـ جمع نوادر من حوادث السجن ذات النكتة وسماها تسمية مسجوعة « غطوش الهم في حوادث السجن » .

ووصف الشيخ الكرمي وهو في سجنه بعاليه الجور الذي لحق به زورا وافتراء وندد بالمجلس العرفي بموشح طويل بليغ جاء فيه قوله:

انما حير فكري عجبا   كونهم قد جرموا مثلي بري
والذي لفق عني الكذبا   صلبوه عند راوه مفتري
ويلهم لم لم يخافوا العطبا   من سهام الليل وقت السحر
فدعا المظلوم ان جد السرى   ليس ينجي منه جد الهرب

وترى الظالم مهما استكبرا   ياله المقت بادنى سبب
ظلموا والله فيما حكموا   حين القوني بسجن ابدي
كذبوا والله فيما زعموا   ليس في العالم شيء سرمدي
ويلهم اذ انهم ما علموا   ان مولاي غدا معتدي
وهو لا يبقي الظلم مظهرا   ويفاجي اهله بالنوب
وترى العمال سريعا غيرا   من عناء لصفاء معجب

وتعجب للذين قد عطلوا   من فعال ذكرها يبكي الجماد
ويلهم كم من بريء قتلوا   واستباحوا نهب اموال العباد
وعن العدل بقصد عدلوا   واذاهم كل يوم بازدياد
جعلوا قتل الضحايا متجرا   وهو شر الكسب المكتسب
لا يجلون سوى من سكرا   او اضاع الرشد في حب صبي

ثم ساقوني الى الفيحا دمشق   لاقاسي السجن في ظلمتها
عندما وافيتها ذقت الاشق   رغم ما يؤلم من سمعتها
بين ناموس وبرغوث وبق   سال مثل السيل في بقعتها
فترى الكل يعاني السهرا   من عناء لاختفاء الشهب
فلو الراحة كانت تشترى   لشريناها بكيل الذهب !

وفي سنة ١٩١٨ عاد الشيخ الكرمي من دمشق الى طولكرم ، ولما تشكلت الحكومة العربية في دمشق (٥ ـ ١٠ ـ ١٩١٨) دعي الى العاصمة السورية وعين عضوا في (الشعبة الاولى (١)) (من آذار ١٩١٩ لغاية ايلول ١٩٢٠) ثم عين عضوا في المجمع العلمي العربي فنائبا لرئيس المجمع (من ١ تشرين الاول ١٩٢٠ لغاية نيسان ١٩٢٢) .

وفي تقرير رفعه المرحوم محمد كرد علي ، رئيس المجمع العلمي العربي ، الى المرحوم صبحي بركات الخالدي ، رئيس الاتحاد السوري ، ورد قوله :

« كان المجمع العلمي العربي يعرف في اول امره بالشعبة الاولى

...ـه ... الى ... اثر تأليف الحكومة العربية في اواخر خريف ١٩١٨ ثم جعلت هذه الشعبة « ديوان المعارف » ووكل اليهـا النظر في امور المعارف والتأليف وتأسيس دار الآثار والعناية بالمكتبات ولا سيما دار الكتب الظاهرية ، ثم انقلب هذا « الديوان » باعضائه الثمانية ورئيسه الى «المجمع علمي» في ٨ حزيران ١٩١٩ . اما اعضاؤه فهم : امين سويد ، انيس سلوم ، سعيد الكرمي ، عبـد القادر المغربي ، عيسى اسكندر المعلوف ، متري قندلفت ، عز الدين علـم الدين ، ثم انضم اليهم الشيخ طاهر الجزائري بعد عودته من الديـار المصريـة .

وفي السادس من آيار ١٩٢٢ بارح الشيخ الكرمي دمشق الـى عمان حيث عين قاضيا للقضاة وعضوا في مجلس المستشارين (مجلس الوزراء بلغة اليوم) ورئيسا لمجلس المعارف .

وفي شهر تموز ١٩٢٣ اجتمع لفيف من حملة الاقلام وبحثوا فـي موضوع تأسيس «مجمع علمي» في عاصمة الاردن وقابلوا الامير عبد الله بن الحسين (الملك عبد الله فيما بعد) وعرضوا الفكرة علـى سموه فشجعهم على المضي فيها واخراجها الى حيز الوجود . وبعد ان اخذ الموضوع مجراه الرسمي تلقى وكيل رئيس الوكلاء (رئيس الوزراء بلغة اليوم) كتابا بتوقيع رئيس الديوان الاميري هذا نصه :

« الرقم ـ ٨٠٥ التاريخ ـ ٤ ذي الحجة سنة ١٣٤١ الموافق ١٧ تموز سنة ١٩٢٣

فخامة وكيل رئيس الوكلاء الافخم

جوابا عن كتابي فخامتكم المؤرخين في ٢٧ حزيران ورقم ١٤٦٨ / ١٩٦٥ و٨ تموز ١٩٢٣ رقم ١٥٥٤ / ٢٠٤ ، رغبة في احياء الآثـار القومية ، ورفع منار المعارف العربية ، فقد صدرت ارادة سيـدي ومولاي صاحب السمو الملكي المعظم بتأسيس « مجمع علمي » بحماية سموه العالي ، يكون رئيسا له سماحة الاستاذ وكيل الامور الشرعية الشيخ سعيد الكرمي واعضاؤه الفيلسوف العلامة رضا توفيق بـك والاستاذ اللغوي الفضال الشيخ مصطفى الغلاييني والاستاذ الفاضل السيد رشيد بقدونس ومدير الجريدة (٢) الاديب السيد محمد الشريقي ليكونوا اعضاء عاملين ينتخبون اخوانهم من الاعضاء المخبرين في الاقاليـم العربية كافة على الطريقة التي يقررونها ، ليكون ذلك عاملا قويـا من عوامل احكام صلة التعارف العلمي والقومي بين الناطقين بالضاد. كما ان الاعضاء العاملين يكونون في الوقت نفسه هيئة ادارية لمصلحة الآثار .

وقد امر سموه ايده الله بانشاء مجلة باسم « مجلة المجمـع العلمي في الشرق العربي » على ان يقوم بشؤونها اعضاؤه العاملـون وان ينفق على انشائها من واردات الجريدة والمطبعة الرسمية .

فتفضلوا بابلاغ من يلزم لاجراء ما يجـب وفقا لمنطوق الارادة المطاعة . واقبلوا التحيات والاحترام » رئيس الديوان (محمد الانسي)

ولكن ذلك «المجمع العلمي» بعد ان التأم عدة جلسات وقرر بعض المصطلحات الرسمية المعمول بها حتى اليوم في دواوين الحكومـة الاردنية اعتبر منحلا لتغيب الاعضاء والغاء جهاز المطبعة والجريـدة الرسمية واللوازم عام ١٩٢٩ . وكانت منشورات هذا المجمع واعمالـه القلمية منوطة بدائرة الجريدة الرسمية التي كانت فـي عهدة الاستاذ محمد الشريقي حينذاك .

وبقي الشيخ سعيد الكرمي في عمان يشغل منصب قاضـي القضاة حتى عام ١٩٢٦ ثم عاد الى مسقط رأسه وبقي فيها حتى لحق بربه عام ١٩٣٥ .

نموذج من شعره . قرض المرحوم الشيخ سعيد الكرمي الشعر وحذا فيه حذو فحول شعراء الجاهلية وصدر الاسلام بجزالة الالفاظ وبداوة الصور والاخيلة . في كانون الثاني ١٩٢٤ قدم عمان عاصمة الاردن من الحجاز المغفور له الملك حسين بن علي فتلا الشيخ الكرمي بين يديه القصيدة التالية :

تجسم هول البيد يقطعها وخـدا ... ولما يجـد مـن خوض داماتها بدا
علـى جسرة ادماء كالرال خفـة ... وان كـان طـول السير انهكها كدا
سرت كهلال الشك في حلة الدجى ... ورائدها عرف الخزامى به تهـدى
وان ضامها طول السرى بكلالـة ... فباللحـن من انـات راكبها تحدى
ويكسبها ذاك الحـدا فضل قوة ... فتهوي به غورا وتسلو به نجـدا
فتفري الفلا في سيرها بمناسـم ... لقد فرشت فيح الصحارى لها خدا
تروح على اين وتغدو بمثلـه ... فما سئمت منها مراحا ولا مغـدى
وقد حملت نضوا جفت جفنه الكرى ... وعاف على ما فيه من ظما وردا
ولم يـروه الا سحاب مدامـع ... لـه علبت وردا وان لم تكن صدا
كما انها مـن فرط شوق لارضهـا ... جفت كل مرعى ما عدا الشيح والرندا
وقد عبدت في الدو اوضح منهج ... ليبلغ ناقي المجد من عزمه الجهدا
فلا يعـرف الشدات من هو خامل ... ولا يالف الراحات من يطلب المجدا
ومـا المرء الا حزمـه واباؤه ... فلا ينثني عزما وان خار او كدا
يقـاوم لأواء الصعـاب بهمـة ... تلـين في صدماتها الحجر الصلدا
يساوره شوق يسايـره الـى ... بلوغ المنى حتى ينال به القصدا
ولا سيما ان كـان غايـة قصده ... اقالة من اودى به الفقر فاستجدى
فالبسه من فيض جدواه حلـة ... واضفى عليه من تعطفه بـردا
فهذا الذي ان فـاح بالند ذكـره ... فذكر (ابن عون) عرفه يفضح الندا
(حسين) امير المؤمنين وكهفهـم ... وحصنهم الواقي على رغم من صدا
نمته قريش في ذؤابـة هاشـم ... وآباء صدق قد سموا في العلا جدا
دعا الله اشتات الفضائل والندى ... ونظمها في جيد عليائه عقـدا
فصار بهذا الفضـل والمجد امـة ... تضمنها فـرد وصارت له جنـدا
فجرد من سيف العزيمة صارمـا ... ابى في الجهاد الحق ان يالف الغمدا
يجاهد في احقاق حـق لقومـه ... تلقفه بالرغـم من اهلـه الاعـدا
على غير ذنب غير حسن وفائهم ... فما اخلفوا وعدا ولا نقضوا عهـدا
فاعيب شيء ان ترى الحق واضحا ... وتانف مـن اعطائه اهلـه عمدا
فتنسيء بالتسويف غامر حقهم ... وتطلب منهم كـل آبدة نقـدا
فيمضي بعزم يكسب السيف حدة ... وجراة قلب علمت مثلهـا الاسدا
وحسن اتباع للنبي وهديـه ... فما حاد عن حق ولا عطل الحـدا
التام لاحكام العدالـة سوقهـا ... فصار بنصر الدين في عصرنا فردا
فقـل لملوك الارض شرقا ومغربـا ... اذا زعموا مجدا او استشعروا حمدا
الا ان ما بين «الحسين» وبينكم ... من المجـد والعلياء مختلف جـدا
فما احد منكم يدانيـه مفخـرا ... ولا شرفا بـل ان بينكم بعـدا
فهاتوا كعدنان ابـا او كهاشـم ... مفرج كرب الجوع في السنة الجردا
هم القوم لا يرجى سواهم لحادث ... ولا يرهبون الدهر ان جار واشتدا
يريشون من هافي الزمان جناحه ... ويبنون من صرح المكارم ما انهـدا
يتمـم تاليهـم مآثـر اول ... فيبرم مـا ادى ويلحم ما سـدى
وتهتز اعواد المنابر لاسمهـم ... وكانت لطول العهد قد ولهت وجدا
وان غيرهم بغيا تسنم منبـرا ... على رغمه صلى عليهم لكي يهدى
يرتل في نص الكتـاب مديحهم ... فمن ذا الذي يحصي مآثرهم عدا
الا يا امير المؤمنين دعاء مـن ... لآل رسول الله قـد اخلص الودا
اجل نظرا في هذه الامة التـي ... بغير ولاء منك لا تبلغ الرشـدا
تهيم اذا شامت لوامع خافقـا ... وتحيا بعز ان رات ملكك ممتـدا
وتفديك بالارواح وهـي عزيـزة ... ولا شيء في الدنيا سواك بها يفدى
فانت الذي انقذتها من عدائهـا ... وانعشتها والضر قد جاوز الحـدا
فكم حملت ثقلا من الضيـم ادها ... وقد كان حملا في فظاظتـه ادا
واغضت على السير الجميل على القذى ... فكانت بذاك الداء آسيتها رمـدا
وكنت جلاها من غشاها ونورهـا ... وشمس هدى فاضت مطالعها سعدا

---

١ ـ عرفت اولا بهذا الاسم وسميت فيما بعد باسم « الشعبة الاولى للترجمة والتأليف » . ٢ ـ عنى بها جريدة (الشرق العربي) الرسمية وكان الاستاذ محمد الشريقي يرئس تحريرها .

فاطيب ما بين العوالم شأنها … واوسعتها عدلا وارعها رفدا
وعلمتها حلما وحسن تجاور … فان كرام الناس لا تحمل الحقدا
وها هي طوع الامر تنفذ نصه … فمر تلق كلا من جماعتها عبدا
فكم من كمي تحت امرك اشوس … يرى عثير الهيجا فيحسبه مهدا
وان ابصرت عيناه مشتجر القنا … ترآى لـه الخطى في ليثـه قـدا
ويستاف آثار التجيع بلهفة … كلي شغف يهوى الشقائق والوردا
ودم عصمة للدين يا ابن نبيـه … فغيرك لا يرجى ومثلك يستجدى

٢ ـ رفيق التميمي

كان شعاره في كافة مراحل عمره قـول فرانسس بيكن : « يجب على الانسان ان لا يزج بنفسه في ابراج من التشامخ والوقار المصطنع بل يجب عليه ان يتطلع الى ارتقاء وحضارة لا نهاية لهما » .

ولد « رفيق » في مدينة نابلس بفلسطين عام ١٨٨٩ وينتهي نسبه الى تميم الداري احد كبار الصحابة ، واتم دراسته الابتدائية وقسما من الاعدادية في مسقط رأسه . وفي عام ١٩٠٢ التحق باعدادية مرجان في الاستانة ، ثم دخل الكلية الملكية بالمسابقة وامضى فيها ثلاث سنوات. وعندبلوغه الصف النهائي عزمت نظارةالمعارفالعمومية فيالاستانة على ايفاد عدد من الطلاب الى اوروبا طلبا للعلم ففاز «رفيق» بالمسابقة وارسل الى باريس ودخل جامعة السوربون وانتسب الى كلية الاداب ونال منها ليسانس في الاداب والتربية ، ثم عاد الى الاستانة وعين معلما للتاريخ في مكتب سلطاني مناستر بسلانيك . وبعد فترة اضطر للعودة الى استانبول نظرا لنشوب الحرب البلقانية وعـين استاذا للتاريخ في سلطاني خربوت (احدى ولايات الاناضول الشرقية) وما لبث انتقل الىبيروت استاذا للاجتماعيات فيالمكتب السلطاني الثاني.

وبعد ان امضى « رفيق » مدة سنتين في عمله هذا في المكتب السلطاني فعين مديرا للنادي الاتحاد والترقي بدمشق ، وفي ذلك الحين عينته نظارة المعارف العمومية بالاستانة استاذا للاجتماعيات في سلطاني ازمير ، وبعد حين نقل استاذا للادب والفلسفة في المكتب السلطاني الثاني بدمشق . وقبل ا نيزاول عمله هذا نقل مديرا للمدرسة التجارية التي انشأها ناظم باشا والي بيروت في هذه المدينة خلال الحرب العالمية الاولى . وعندما انشئت « الكلية الصلاحية » في بيت المقدس ابـان العهد التركي عين استاذا للتاريخ فيها ، وكان من زملائه المدرسين المرحوم رستم حيدر .

كان « رفيق » المعيا ذكي الفؤاد منذ نشأته ، وكان في طليعة من عملوا في حقل الحركة العربية ، ومن اوائل الذين قامت على اكتافهم جمعية « العربية الفتاة (١) » وتعهد مع اخوانه من اركانها نمو البذور المباركة التي غرسوها . واستطاع بدهائه وحكمته وبعد نظره ان يسد فراغا كبيرا في حركة جمعية « العربية الفتاة » حينما ناشت سيوف الظلم والطغيان عددا كبيرا من رفاقه اثناء الحرب العالمية الاولى حتى كان قطب رحاها في بيروت ثم في دمشق في تلك الايام المكفهرة ، ووسع بكياسته ولباقته احترام ناظم باشا والي بيروت التركي وقتئذ .

وحينما دقت ساعة الجهاد العربي بادر « رفيق » مع نفر من اخوانه العاملين معه في الحقل القومي الى الالتحاق بالجيش العربي الذي قاده الامير فيصل بن الحسين نحو الشام . وابدى من ضروب العقل والوعي ما نال به ثقة الامير الهاشمي وتقديره فكان من مستشاريه المقربين .

وبعد ان دخل الجيش العربي دمشق مظفرا منصورا اسس الامير فيصل حكومة عربية مستقلة كان « رفيق » من رجالاتها البارزين ، اذ عين مشاورا مدنيا للمعتمد العسكري العربي في بيروت ، فاستطاع بنشاطه وصلاته وذكائه ان يقوي المعسكر العربي في لبنان ويؤجج فيه حركة قومية عربية تؤيد عهد الشام في مختلف المناسبات والحركات التي كانت تجري في ذلك الظرف العصيب . وفي اكثر من مرة كان رفيق عضوا بارزا في الهيئة المركزية لجمعية « العربية الفتاة » التي كانت دعامة قومية كبرى في ذلك العهد ، وكانت لها مواقف مشرفة مستمدة من اهداف الحركة العربية .

وعندما عقد « المؤتمر السوري العام » في دمشق مثل فلسطين في جملة من مثلها من رجالات فلسطين . وبعد ان افل نجم الحكم العربي الفيصلي في سورية ودخلها الفرنسيون حكم عليه هؤلاء بالاعدام غيابا في عداد من حكموا عليهم بالموت من رجال الحركة العربية . ولما عاد الى فلسطين مع من عاد اليها من رجالاتها تفاعل في حركتها الوطنية فكان من اعضاء مؤتمراتها ولجانها القومية كلما تنادت لحمل راية النضال ومحاربة الانتداب والصهيونية هذا البلاء المزدوج .

وعندما شرع سماحة الحاج محمد امين الحسيني فـي تأسيس « الكلية الاسلامية » التابعة للمجلس الاسلامي الاعلى في بيت المقدس اختار « رفيقا » مديرا لها لكن هذا المعهد العلمي لم يعمـر طويلا . وليواجه رفيق التزامات عائلية مترتبة عليه اضطر للعمل فـي ادارة المعارف العامة فعين مديرا للثانوية الخليل فمديرا للثانوية العامريـة بيافا وبقي فيها الى ان احيل على التقاعد . ورغم عمله الرسمي هذا ظل على صلة بالحركة الوطنية والعمل في الحقل السياسي .

وبعد الحرب العالمية الثانية انتخب عضوا في « الهيئة العربيـة العليا » فاسهم في نشاطها وتولى ادارة مكتبها في بيت المقدس قبيل قرار التقسيم ، وظل على نشاطه واندفاعه ولم ينسحب من الميدان الوطني الا بعد ان رأى استحالة العمل في جو تسوده قوى الشـر والطغيان ، وتلمع فيه الحراب البريطانية ، وتعمل على تهويد فلسطين وتشريد اهلها مهما كانت الخاتمة .

وبعد ان شرد عرب فلسطين بعد النكبة الاولى قصد رفيق دمشـق وتولى ادارة مكتب « الهيئة العربية العليا » مدة ثماني سنوات ، وكـان له نشاط مثمر ملموس في مختلف النواحي المتصلة بالقضية الفلسطينية ومصالح عرب فلسطين ، وظل مثابرا على نشاطه هـذا الـى ان سقط شهيدا في ميدان الحركة الوطنية يوم ١٩ تشرين الاول مـن عام ١٩٥٦ ودفن في مقبرة جبل المهاجرين بدمشق مبكيا على خلاله الرفيعة واخلاصه للقضية العربية .

من آثاره القلمية : كا نرفيق الى جانب نشاطه القومي المتواصل طيلة خمسـين عاما ، ذا نشاط مثمر فـي المجـال العلمي ، وعندمـا تولى ادارة المدرسة التجارية في بيروت كسب ، عن طريق الخدمات التي اسداها ، ثقة الوالي ناظم باشا واحترامه فعهد اليه والى زميله محمد بهجة الكاتب (الحلبي الاصل) بالقيام بجولة في انحاء ولايـة بيروت (٢) لتصنيف كتاب يكون مرجعا في جغرافيتها وتاريخها ، فطافا بارجائها وبعد مدة عادا الى بيروت ووضعا كتابا باللغة التركية ثم ترجماه الى العربية بعنوان « تاريخ ولاية بيروت » في جزئين ضم الاول القسم الشمالي من ولاية بيروت التي كانت تضم لبنان الحالي واللاذقية ، وقد ضم الثاني القسم الجنوبي من ولاية بيروت الذي يضم متصرفيتي عكا ونابلس . ان هذين الجزئين كانا وما زالا من المراجع القيمة فيجغرافية ولاية بيروت وتاريخها وحركتها الاجتماعية . وبالاضافة الى هذه الملحمة الواسعة عرفنا لهذا المؤرخ الثقة الكتب التالية :

(١) ولاية مدحة باشا على الطونة (باللغة الفرنسية) .
(٢) سوق مدحة باشا بدمشق .
(٣) التاريخ عمومي (في ثمانية اجزاء) .
(٤) الاقطاع واول اقطاع في الاسلام طبع عام ١٩٤٥ .

---

(١) بعد ثلاث سنوات من اعلان الدستور العثماني تألفت هـذه الجمعية السياسية للعمل على ايقاظ الامة العربية من سباتها العميق لتستأنف حياة العزة والكرامة التي كانت لاسلافها . (٢) قبيل الحرب العالمية الاولى كانت ولاية بيروت تضم كل المدن الفلسطينية باستثناء متصرفية القدس الممتازة التي كانت تضم كلا من يافا وغزة .

(٥) الحروب الصليبية طبع عام ١٩٤٥ .

(٦) حوض البحر المتوسط طبع عام ١٩٤٥ (بالاشتراك مع الاستاذ وصفي عنبتاوي) .

(٧) تاريخ اوروبا الحديث طبع عام ١٩٤٦ .

(٨) تاريخ العصر الحديث طبع عام ١٩٤٦ .

نموذج من نثره : « في يوم مطير كثير الضباب من عام ١٩٠٦ اجتمع نفر من شباب العرب السوريين في غرفة صغيرة من الدور السادس لبناء ضخم مطل على « الكوليج دي فرانس » الباريزية وعقدوا النية على ان يكرسوا حياتهم ومواهبهم الادبية والعلمية والمالية في سبيل انهاض امتهم ، والفوا لهذه الغاية الشريفة جمعية دعوها جمعية « عربية الفتاة » وكان هؤلاء الشباب لا يزيد عددهم على سبعة اشخاص منهم من قضى نحبه في سبيل العروبة ومنهم من لا يزال حيا ، وقد ذهبوا الى عاصمة الفرنسيس ليرتشفوا العلم والادب من مناهل باريز الراقية ومكتباتها القيمة ، واخذوا يعملون وراء غايتهم الشريفة ويستخدمون جميع الوسائل ليكونوا قدوة حسنة لكل من يريد من ابناء جنسهم السعادة والحرية والاستقلال لوطنه ولامته ، وقد مر عليهم ثلاثة اعوام وهم يبثون فكرتهم بين الطبقة المثقفة من العرب وكانت خطتهم ان لا يدخلوا في جمعيتهم الا من توفرت فيه شروط الرجولة والاباء والاعتماد على النفس مع شيء غير يسير من العلم والادب ، لذلك لم يبلغ عدد الاعضاء في هذه الجمعية سوى ثلاثين عضوا ، على ان هذا البطء وذلك التروي كانا ضروريين لانجاح المشروع في بلاد خيم عليها الجهل عصورا طوالا وتضاءلت الفكرة القومية حتى اصبح من اصعب الامور ان تحدث عربيا يفهم قليلا او كثيرا وتقنعه بوجوب السعي وراء النهضة القومية العربية .

وكانت اساليب الحكم العثماني تحول دون انتشار مبدأ الجمعية لان الناس اعتادوا ان يروا في الشعوب الاسلامية شعبا واحدا و امة واحدة تجمعها العقيدة الدينية وكان لاعلان الدستور العثماني دخل كبير في احباط كل سعي يرمي الى تحرير العرب من الحكم التركي لان الدستور ينص على ان الشعوب التي تتالف منها الامبراطورية العثمانية متساوية امام القانون ، ولا امتياز لشعب على آخر . ولقد اراد رجال « تركيا الفتاة » في صدر نهضتهم ان يصدقوا في دعوتهم ، فدعوا الشعوب العثمانية لانتقاء نواب عنهم في مجلس المبعوثان وتمت الانتخابات . ورغم انهم اجحفوا بحقوق العرب وغمطوا من مجموع نفوسهم ، وضغطوا على الاهالي حتى ينتخبوا من كان ميله تركيا العاديا ونزعته ليست نزعة عربية ، فقد كان مجموع النواب العرب في سورية والعراق والحجاز واليمن وطرابلس الغرب نحو ٧٠ نائبا اي ثلث مجموع نواب المجلس العثماني . فلو كان التمثيل صحيحا وكانت الحكومة المركزية تخضع حقيقة لارادة النواب لقبض العرب على دفة الحكومة ان لم يشاركوا الاتراك في تسيير دفتها . كان هنالك من اصعب الامور على الشاب العربي الذي تتوق نفسه للحرية والاستقلال ان يدعو بني قومه للجهاد في سبيل هذين المبدأين . لذلك صرحت جمعية « عربية الفتاة » في دستورها الاساسي ان غايتها المثلى هي انهاض الشعب العربي وايصاله الى مصاف الامم الحية ، وكان مؤسسو الجمعية يعتقدون انهم بهذا القيد الاخير ينال العرب حريتهم واستقلالهم ، الا انهم لم يصرحوا بذلك الا لمن انسوا فيه الكفاءة والقدرة على فهم هذين المبدأين الرئيسيين .

وكان لاعلان الدستور العثماني رنة فرح في قلوب العرب الواعين فالفوا النوادي الادبية والسياسية في بلدانهم ، واسس فريق من صفوتهم جمعية « الاخاء العربي » و « المنتدى العربي » في استانبول كما اقدم فريق من الضباط العسكريين على انشاء « جمعية العهد » وكان هدف جميع هذه الاحزاب ان يروا شعبا عربيا ناهضا تتوفر فيه شروط الامم الراقية . وظلت هذه الجمعية تعمل مدة طويلة لا سيما « المنتدى الادبي » فانه جمع شتات الشبيبة العربية في استانبول وكان زعماء هذا العهد يعملون لتهيئة رجال عاملين .

لقد تمكن بعض الشباب المؤسسين لجمعية « عربية الفتاة » من اتمام دراستهم في جامعة باريز واخذوا شهاداتهم العلمية والحقوق والادبية العالية وقفلوا راجعين الى بلادهم ليعملوا في نشر مبادىء جمعيتهم وذلك في اواخر عام ١٩١٢ فكان موقف الدولة حرجا جدا بسبب الحرب الطرابلسية ، وكان عقلاء مدينة بيروت يرون المستقبل مظلما والدولة تتاخر وجميع مشاريع العمران والتمدين تتعثر فانتهز فرع الجمعية في بيروت هذه الفرصة واخذ يسعى لاقناع العقلاء لينهضوا ويطالبوا الحكومة بحقوق العرب المهضومة ، واجتمع بعض الافاضل في مصر والفوا « حزب اللامركزية » وكانت غايته حمل الدولة العثمانية على ادارة بلادها على النهج المتبع في مملكة النمسا والمجر .

ورات الجمعية من ناحية اخرى ، تعزيزا للحركة القومية التي دب دبيبها في الوطن ، ان تعقد مؤتمرا في باريز لتتمكن من نشر الدعوة القومية في الاندية السياسية ولتقنع الجمعيات العربية المؤسسة في عواصم الغرب لمساعدة الامم الضعيفة لتساعد العرب وتشجعهم على خطتهم . وعقد المؤتمر العربي الاول وشهدته وفود من الجاليات العربية السورية في اميركا ومن حزب اللامركزية في القاهرة ومن الجمعية الاصلاحية في سورية ومن جمعيات اخرى وقامت الجمعية بالدعاية احسن قيام وكتبت امهات الجرائد الاوروبية المقالات الطوال عن نهضة العرب ، وتمنت لهذا الشعب ان يستعيد مجده الغابر ومدنيته الزاهرة ، الا ان ايدي جمعية « تركيا الفتاة » لعبت دورا هاما في احباطه ، على ان الجمعية ظلت سائرة على نهجها في ايقاظ الشعب وتنويره ودلالته على مواطن الخلل ، وكانت جريدة « المفيد » البيروتية - وهي لسان حال الجمعية - تنشر المقالات الطوال وتدعو الشبيبة الى نبذ التقاليد السخيفة والى التمسك باهداب النهضة الحقيقية .

ودخلت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الى جانب المانيا والنمسا ضد دول الحلفاء ، فشمرت الجمعية عن ساعد الجد والنشاط واخذت تعقد الاجتماعات حيث يتنافس الاعضاء في الخطة التي يجب اتباعها ازاء الكوارث والويلات العربية. وكان جل الاعضاء ، ان لم نقل كلهم ، لا يميلون الى الانسلاخ عن الدولة العثمانية ، بل كانت غايتهم ان تنال البلاد العربية جميع الحقوق المدنية تحت اللواء العثماني على قاعدة اللامركزية ، وكانوا يبشرون بتاسيس حكومة على شكل يماثل حكومة النمسا والمجر ، الا ان تعيين جمال السفاح في قيادة الجيش الرابع وفتكه بزعماء ووجهاء وادباء العرب جعل الجمعية تنهج نهجا آخر .

ان دخول تركيا الحرب اكسب الجمعية نشاطا عظيما في الاعمال فتقوت وادخلت رجالا بارزين تحت لوائها وكان الرؤساء هم على اتصال دائم مع بعض رؤساء القبائل . وصادف ان قدم الى دمشق من الحجاز اكبر شخصية عربية بارزة ، فادخلوه في جمعيتهم واتفقوا معه على ان يكون من جنود الجمعية العاملين ، وكان جمال السفاح يريد ان يفتك بالقافلة الاولى من شهداء العرب ، فتوسط هذا الزعيم وطلب اليه بلسان من هو اكبر منه ان يعفو عن المظلومين الا ان نفس جمال السفاح ابت الا ان تهرق دماء العرب ظلما وعدوانا » .

عمان - الاردن

البدوي الملثم

الرجـل الاخـر

•

صفـــاء الحيـــدري

•

بغـــداد

كـــان أمســـي
ذلك الرابض كالهول بحسي
كفني كان ورمسي
عشت فيه
والاسى يمتص نفسي

كان لي أمس .. ولكن
لم يكن لي – لي وحدي
كـان لاثنينـــا
كـان هينـــا
لـــم يكن ملكـــا لفرد

وترسمنا طريقنا على ضوء النجوم
وارتقينـــا ..
سلم الاشواق للحب العظيم
ومضينـــا
كالنسيـــم
وزرعنا في الليالـــي
الـــف بستان لالـــي
هي تصغني
وانا اطوي سهولي وجبالي
اسبق الايام والاعوام يعدو بي ضلالي
وتلفت اليهـــا
لم اجد غـــير صدى امسي
وآثـــار خطاها
فـــي الرمـــال
سوف لن يبقي عليها الغد الا
فـــي خيالـــي

كنـــت وحـــدي
لم اجد من كان يصغي لمناجاتي ووجدي
نالها من غير جهد .
رجـــل آخـــر
شخص مر بعدي

ساعة استجمام بين الدعابة والمجون

بقلم مصطفى درويش الدباغ

* * *

اراني اذا ما اصابني الكلال والفتور والاعياء ، وحتى أثير في نفسي ما خمد من حيوتها ونشاطها ، لتنشط بعد فتور وتستجم بعد اعياء ، تجرني قدمي لامد يدي الى تراثنا العربي القديم ، كي استجلي ما فيه من جمال وفتون وحيوية وحرية وحياة ، يلتقي خيرها مع شرها وجمالها مع قبحها وباسها مع املها ، ورجاؤها مع خيبتها ، ولا يسرني وانا لا شك يا سيدي القارىء ، صادق فيما اروبه ، وارجوك ان لا تطالبني بالقسم ، اقول انني في ساعة الملال هذه ، لا يطيب لي اولا الا اختيار دواوين اولئك الشعراء الذين جاهدوا في الحياة سعيا وراء مسرة ، خروجا من قبضة الحياة ، او دواوين اولئك الذين يتصادمون مع المجتمع بدون سلاح مادي ، يحملون اسلحتهم في افواههم يرسلونه كلاما بليغا ، يحز في الانفس حز المدى سعيا وراء المال يرهبون به خصومهم فيتوددون اليهم بالهبات والعطايا وهي تريقة الادب في ذلك الوقت . .

او دواوين اولئك المجان ، يقبلون على الحياة ومنهما مدفوعين بحيويتهم الجامحة وغرائزهم الفارية ، غير مبالين بانظمة المجتمع ونواهيه ، لا يعرفون تحفظا ولا تقية ، يتحدونه باقوالهم وافعالهم ، ويصورون انفسهم بصدق وصراحة معراة من نفايا تاالنفاق والرياء ، التمس الجمال في بساطة تعابيرهم . وما يشف عن صدق سرائرهم ، فنا صادقا يأتلف مع اجوبتهم المنطقية السديدة والجمال يلتمس احيانا في صدق التجارب وحيوية التعابير ، وان خالف العرف الاجتماعي .

التمس كل هذا لاروح عن نفسي ساعة او ساعتين ، كما تروح ايها القارىء الكريم عن نفسك في مشاهدة افلام السينما ، وفيها ما فيها من الوقائع ما يتلاءم مع وقائع اهل المجون ، من اصحاب تلك الدواوين ، وما افتا حتى اعود بعدها نشطا اقبل على الادب الجاد يصور اشواق الروح ، والنفس فيما يصوره من احساسات راقية والنفس كما لا يخفاك في حاجة للاسترواح ، والجمام من عناء ما يجثم عليها من تعب ونصب في ميدان الحياة .

وفي طبيعة الانسان صفة الاستغراق ، والتلدس الى طوايا النفوس لتدرك ما يخفق في طواياها من رذيلة ، وما تضمره من فضيلة ، والحياة الانسانية مزيج من خير وشر وكفر وايمان ، وكفاح وهزيمة وجد ومجون ، ولا يعرف الخير الا بالشر ، وكذلك لا يعرف الايمان الا بالضلال ، واذا ما قرأنا حياة كبار العظماء في كتب تصور حياتهم ولمسنا ما ينطوي في دخائل انفسهم من ضعف وقوة ، فاننا بهذا نتحرى عن انفسنا توكيدا للصلات التي تربطنا بهم ، وهي الصلات الانسانية فاذا ازيلت الحجب، ووقعنا على حقيقتهم الانسانية ووجدناهم اناسا مثلنا ، خفقت مشاعرنا وتعزينا اذ لم يعد ثمة فارق بيننا وبينهم، وليس لهم من فضل الا ميزة الجراة والكفاح المر في سبيل الحياة الانسانية . . وارجو من القارىء الكريم ان لا يزم شفته ، ولا يغامز بعينه اليمنى او اليسرى ، ولا ان يحرك وجنتيه هزؤا وسخرية ، فيضعني مع زمرة اهل المجون والسفه لاني اقرأ شعر اهله ، واستقصي حياتهم ، واضحك من عبث اصحابه ، فلست والله من هؤلاء بشيء ، ولكن لي نفسا تتحرى من كل شيء ، يخفق في قلب كل انسان وضيعا كان او صغيرا ، فما يخفق في قلب الوضيع هو نفسه يخفق في قلب الكبير ، وليس الفرق بين الرجلين الا في المنزلة والمكانة ، تحفز نفسي الرغبة في متابعة اهل الجد بمثل رغبتها في متابعة حياة اهل المجون ودراستها ، والجد والمجون اصدقاء انسانية، واخالهما يسيران مع الدهر في مسيرة واحدة لايفترقان، ورب جد يحمل في طياته معاني المجون والعبث ، ورب مجون يتبطن بباطن الجد ، وهذا ما نلمسه في هذه الحياة الانسانية . وخير للانسان ان يقرأ سفر الحياة مقبلا عليه ، مفتوح القلب والبصيرة ، متوقد الذهن تام الذكاء ، لا يقصر دراسته على جزء من اجزائه ، ويطوي الاجزاء الاخرى ، ليتمكن ان يقبض على ناصية الحياة ، ويتملى ما فيها من عجائب وغرائب .

قرات ديوان بشار بن برد واطلعت على تاريخ حياته ، فوجدته انسانا حيوي الجثمان وثيق التركيب مضطرم الشهوة ، استغرقته حماها كلفا بالجنس بالرغم من عماه . واصحاب هذه العاهات ، بالاضافة الى ما حباهم الله من حيوية عارمة ، معنيون بلذائذ الحس اكثر من عنايتهم باشواق الروح والنفس ، تتضخم محبة الجنس عندهم ، يركبون الناس بالدعابة والمجون ، ويتأهبون لهم تأهب العميان في احدى الزوايا حين يضربون دفاعا عن النفس ، والناس تركبهم بالعبث والسخرية اذ يطلب من امثالهم ان لا يجتنبوا طرق الفضيلة ، ولا يتخذوا من حياة المجون والعبث هدفا لهم وغاية . . نشأ وفي نفسه ميل الى السخرية والمجون والضحك على ذقون الناس ، وتهديدهم بالهجاء المر ليخافوا بطش وسوء قالته ، نشأ وفي ذوقه احساس الفنان ينفث بين الحين والاخر ، الوانا من الحكمة والوصف ، يلتقطها من اعماق الحياة وينظمها نظم الفنان الصناع شعرا متينا ، يأسرك منه دقة التعبير وخلابة الايجاز ، والاجوبة المسكتة والفطنة الحادة .

كان مارا في الطريق ذات يوم ، وساله رجل عن

تــاج محــل

افخم بناء اثري اقامه « شاه جهان » مثوى لزوجته الحسناء « ممتاز محل » ملكة الهند في العصر المغولي .

الدكتور محمد رجب البيومي

•

اذلك قصر الحب ما ابـــدع القصرا … لعمري لقــد سفهت من خاله قبــرا
اقــبر وفينــان الحدائــق يرتمــي … عليه فيكسو وجهه السندس النضرا
اقبــر وانفــاس الازاهــير حولــه … تفوح فاني سرت تستروح العطــرا
اقبر ونصــاع الرخـــام يلفـــه … باعمدة بيضــاء قد رصعت تبـــرا
قبــاب تغطيهــا الجواهــر زينــة … تخــال بهــا الابهــاء قد سقفت درا
اهانت كنوز المال في الهند فاغتدت … كبعض صخورالقبر اذ رصفت صخرا
لعمــرك ما هانت وقــد راح بذلهــا … يصور وجد القلب في لوحة كبــرى
اتمنحهــا الحسناء ابــان مجدهـــا … ونحرمها اذ فارقــت اوجها قهــرا
بذلنــاه في الاولى تزلف عــاشــق … فكيف لعمر الحب يمنع في الاخرى
ضريــح يهز النفس فيض جلالـــه … فيهدر جياش الشعور بهــا هــدرا
تقاطــر جيــاش النواقــير ساكبــا … لديــه فحاكى مزنة همــرت قطــرا
اخال هواميهـــا سيــول مدامـــع … بها مقلة « للكنج » قد ذرفت حسرى
اذا لالات شمس النهــار حياضهــا … شهدت لجينا ناصعا قد جرى نهرا

منزل معين ، فاشار بشار الى مكانه والرجل لا يفهــم ، واذ يئس من ضيق عقله برم به ، واخذه من مرفقه وقاده الى المنزل الذي يبتغيه منشدا في طريقه :

اعمى يقود بصيرا .. لا ابا لكم … قد ضل من كانت العميان تهديه

وظل يقوده الى ان اوصله الى المنزل ، وادخله فيه وهو يقول .. ادخل يا اعمى !!

وكان على الرغم من اتصاله بالناس برما بهم احيانا ، ويقول في دعابة كاوية : الحمد لله الذي حجــب بصري فقيل له : لم يا ابا معاذ ؟ قال : لئلا ارى ما ابغض ... وكان شديد الحس ، والعميان من اكثر الناس حساسية ، يستعيضون عن فقدان النظر بتضخم الحس ، فكانهــم يبصرون الحقائق والملموسات بقلوبهم .. كان جالسا امام باب داره وفي يده مخصرة ، وامامه صحن فيه تفـــاح واترج ، فاهتبلها فرصة احد مداعبيه ومد يده والتقــط تفاحة ، فما كان من بشار الا آن اهوى بكرباجه علـــى يده ، وكاد ان يكسرها فقال الرجل : قطع الله يدك ألانت اعمى ؟ فقال بشار : يا احمق واين الحس ؟! ونــوادره كثيرة يفيض بها ديوانه .. وبشار يصور مباذله ومجونه بشعر جميل انيق ، ما ان يسمعه الناس حتــى يحفظوه ويسير على السنتهم ومنه :

يزهدني في حب « عبلة » معشر … قلوبهم فيها مخالفة قلبـــي ..
فقلـــت :

دعــوا قلبي وما اختــار وارتضى … فبالقلب لا بالعين ، يبصر ذو اللب

وان له من روائع الحكمة ينثرها في المقطوعـــات القصيرة ما لا تقل روعتها ، قوة عن روائع حكمة المتنبي الفنية ، يقول :

وما كل ذي لب بمؤتيك نصحــه … ولا كل مؤت نصحه .. بلبيـــب
ولكن اذا ما استجمعا فيهد امريء … فحق له من طاعة .. بنصيـــب

وما اروعه في تصوير ليلة داجية طال امدها، يقول:

خليلي ما بال الدجى لا يزحزح … وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
اضل النهار المستنير طريقـــه … ام الدهر ليل .. كله ليس يبرح
كان الدجى زادت .. ومازادت الدجى … ولكن اطال الليــل هم مبرح

لقد ابتدات حياته بالمجون والهجاء وانتهت بهمــا ، وكاد المجون والهجاء له فارداياه قتيلا .. شوهد يؤذن وهو سكران فجيء به الى الحاكم ، واذ ثبتت التهمة امــر بجلده .. وكان يقول بعد لذع كل سوط ــ حس ــ فقال له رجل : قل بسم الله . فقال بشار : اطعام هو حتــى اسمي اسم الله . فقال اخر : افلا قلت الحمد لله فقــال بشار : او هو نعمة حتى احمد الله عليها ، ومات من اثر السياط في مشهد تمثيلي فكاهي محزن غفر الله له ..

عمان ــ الاردن … مصطفى درويش الدباغ

اضاع عليه « شاه جهان » كنوزه … وخال الذي اهداه محتقرا نزرا
اذا قاس ما اهدى يبالغ حزنه … راى كنزه المبذول لا يبلغ الصفرا
اذا ازداد حزنا زاد بذلا كانما … يبرد بذل المال في صدره جمرا
يروق له ان ينهض الصرح شامخا … فيدرك كل الناس ماساته الحرى
بلى ربما اوحى له الوهم انهما … قريرة عين لا تني تبعث الشكرا
ترى حظها اوفى الحظوظ فتزدهي … وتسمو على الاتراب مختالة سكرى
رات شاهقا ما شاده قبل قيصر … لذات جمال او تصدى له كسرى
اذا قرنت اهرام خوفو وخفرع … به ضؤلت وزنا وان خلدت ذكرى
لئن كانت الاهرام ذات جلالة … فليس بها من رائع الحسن ما اغرى
ولكن تلاقى بالجلالة رونق … « لتاج محل » فارتقى بهما قدرا
انيط به عشرون الفا من الورى … يوالونه جهدا ، وما ادخروا صبرا
لئن ارهق الجور الصريح جموعهم … لقد الفت ايامهم ذلك الجورا
اذاقهم المر المهوع عاهل … فاجبرهم ان يطعموا مره خبرا
وما قاسموه قبل ذاك نعيمه … فيرضي لهم من جوره قسمة شرا
نات عنه ليلاه وطال زمانه … فكان تراخي عمره ميتة اخرى
فاذعن للجلى ابتداء وعاده … شبيه تحد للردى زاد فاستشرى
فصمم ان يبني ضريحا مخلدا … فلا يستطيع الموت ان يمحو الذكرى
اذا ما راى الراءون شاهق صرحها … مضى ذكرها يتلى فتحيا به قسرا
تكر العصور التاليات وصيتها … يدوي دوي الرعد كي يسمع الدهرا
فيعرف رائي قبرها عن فتونها … احاديث يشاو السفر في رصدها السفرا
الم تشخص الابصار نحو ضيائها … وقد سفرت في عرش سلطانها بدرا
جمال يحليه الشباب فاذ اتى … اليه نعيم الملك ضاعفه سحرا
الم تختم الاوراق في بعض امرها … فتذكو اريجا كالصبا لامست زهرا
الم تنطلق كالسهم راس كتيبة … قد امتشقت صمصامة واعتلت مهرا
الم تك بعد النصر ترنيم محفل … يرجعه شدوا فتمثله سكرا
الم تمنح الايتام قلبا تاصلت … به نخوة الاسلام فاعتنق البرا
يرون ضياء الله في بسماتها … اذا ثغرها بعد النوال قد افترا
فان خبلت ذا التاج بعد وفاتها … فاني ارى هذا الخبال به احرى
قليل عليه ان يشق ثيابه … ويلطم كالمجنون منتفضا ذعرا
الم تك خصبا للحياة وبهجة … فكيف يصير الكون من بعدها قفرا
يبيت وعيناه لنور ضريحها … فان جاءه نوم تحاشاه مزورا
اذا عكس البلور لالا ساطع … توهمها في اللحد قد اشرقت فجرا
وان جاءه نشر الازاهير فائحا … تصورها قد ارسلت ذلك النشرا
وان رفت الاشجار نضجا ونضرة … يظن صباها لامس الدوح فاخضرا
خيالات موهوم يطل نفسه … بها اذ توالت من مخيلة تترى
تراخى عليه الدهر حزنا وذلة … فقوس منه في كهولته الظهرا
الى ان توخاه الردى فاغاثه … وارخى على ماساة مهجته سترا
لقد كان حتما ان يفارق حسنها … فيخشع حزنا بعدما تاه مفترا

الفيوم ـ دار المعلمات … محمد رجب البيومي

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

* * *

عروس الجليل

حين يطالعنا صباح الحادي عشر من ايار ، من كل عام ، يذكر فيه كل عربي في جوانب وطننا الكبير على امتداده، الفردوس الضائع والجنة المغتصبة والديار السليبة .. فلسطين يذكر فيها الساحل الجميل بثغوره ومواتيه ، والسهل الاخضر بكرومه وحدائق البرتقال فيه ، يذكر فيها المدن العامرة ، والقرى الهاجعة في النعيم ، انها فلسطين ، واي عربي لا يذكرها في مثل هذا الصباح الجاهم ، الذي يعيد الى الاذهان ماساتنا الدامية !

ولكنهم قلائل اولئك الذين يذكرون فيها « وادي الليمون » الذي الهم الشاعر صلاح الدين الصفدي باجمل قوافيه واعذب اشعاره ، اذ طالما اهاج شيطان شعره حفيف اغصانه وخرير سواقيه ، وبساط من الخضرة هناك ، توشك أن لا تنقبض حواشيه طيلة العام .

ويذكرون فيها « وادي الطواحين » الذي طالما نهل من ينابيعه الكثيرة العذبة زحوف المجاهدين وهم ينحدرون من سفوح « الجرمق » ليتسلقوا منعرجات «كنعان» وهم في طريقهم الى القلعة الحصينة ، ليخلصوها من ايدي الغاصبين من الصليبيين وسواهم على توالي العصور وتعاقب الاجيال . ويذكرون « جبل كنعان » الذي غصت جوانبه بمراقد الشهداء ، ومقامات الصالحين من علمائنا المرابطين في غابر الدهر .

نعم .. انهم قلائل اولئك الذين يذكرون ذلك كله ، ليذكروا معه البلدة الجميلة التي احاطت بها الحدائق والكروم وغراس الزيتون . وامتلأت بالدارات الجميلة ، وما يغص فيها من اللوز والتين والرمان ..

ليذكروا « صفد » الحافلة بذكريات التاريخ ، ومآثر الماضيين ، والمزدحمة بشواهد الامجاد عند كل منعطف ، وفي جنبات كل طريق ، « صفد » الجميلة ، ذات القلعة الشاهقة المنيعة ، وذات المساجد والحصون ، التي تحدثك عن ماضي بناتها ، وبطولات حماتها . وحسبها انها كانت حامية الجليل باكمله ذات يوم ..

انها « صفد » التي استقبلت في مثل هذا الصباح من عام ١٩٤٧ ، جموع الغاصبين وطلائع الافاقيين ، وذلك بعد ان شرد منها اهلها ، وابعد عنها ابناؤها ، وامضت اول ليلة من عمر هذا الجيل ، وليس فيها عربي واحد من ابنائها .

فلنذكر « صفد » ونحن نذكر فلسطين ، ولنذكر مع ذلك انها البلدة العربية الوحيدة في فردوسنا المغتصب ، التي لم يبق فيها عربي واحد من اهلها .. لنفعل ذلك .. ونحن في انتظار يوم العودة القريب .. وعلينا ان لا ننساه ..

عين الرضا

كان الرجل منصرفا الى حرفائه ، يعرض عليهم اصناف بضاعته ، فلم اجد بدا من الانتظار ، حتى تحين فرصتي بعد من سبقوني اليه . وجلست على مقعد كان خاليا هناك انتظر ان يفرغ بعض من وقفوا حوله يحاورونه ويجادلونه ويداورونه في الاسعار ، وهو يبين لهم صواب ما حدد وما طلب ، وكان الفتى ذلق اللسان ، بارعا في سوق الادلة والاستشهاد بها ، لا يفحمه احد ممن وقفوا يستمعون اليه .. فاعجبني منه ذلك ، وتابعت مجرى حديثه لا يحرجني طول الانتظار والترقب .

وتحول نظري عن غير قصد الى زاوية قصية في الحانوت ، فابصرت هنالك شيخا يجلس على مقعد بعيد عن تزاحم المشترين ، وقد شخص ناظراه بالرجل ، وتوجه اليه بكافة وعيه ، وفي وجهه علائم الغبطة والبهجة ، والاعتزاز بكل ما ياتيه او يصدر عنه .

وامعنت النظر في الشيخ الجالس عند الزاوية القصية ، فالفيته في خشوع المتعبد حين يقف عند واحد من شعائر تقديسه ، بل رأيته في نشوة من احرز الفوز وظفر بالغاية المرجوة ، وانتهى الى ما تطمح اليه نفسه ، وتمتد نحوه اماله وامانيه .

ودفعني حب الاستطلاع الى ان اتوجه نحو الزاوية القصية من الحانوت ، الى حيث يجلس الشيخ ، فمضيت متمهلا متاديا ، حتى لا اثير في نفسه ريبة ، او يظن انني اقتحم عليه خلوته ، وارقبه فيما ياتيه .

واطمأن بي الموقف هنالك ، ورايت الشيخ لا يتحرج من المضي في سرحته الحالمة ، وانا اقف على مقربة منه لا يفصلني عنه قيد ذراع . واخيرا احس بي ، والتفت الي وفي وجهه تساؤل واستغراب .. فابتسمت له ابعد عنه ما اثرت في نفسه ، وبادرته بالتحية ، وانا اقول له متوددا : انهم مشغولون في هذا الحانوت ، لا يصل اليهم الواصل الا بعد ان يطول به الانتظار .

واغتبط الشيخ لهذه الشهادة، التي اعتبرها دليلا على نجاح صاحب الحانوت وبراعته في أن يجتلب نحوه الحرفاء والمشترين ، فما كان ليصبح في شغل شاغل عمن حوله ، الا حين يبلغ ذلك المدى من نجاحه .

وقال وهو في ذروة انفعاله : انه سعيد .. ولدي سعيد .. ابو مازن .. يرضيك ويرضي كل من يعرفه ، انظر كم هو بارع في الحديث حين يتحدث .. كم هو

فصيح اللسان لا يهاب ولا يتلجلج .. انه ولدي سعيد اطال الله عمره ، ويسر له اسباب الرزق ..

وهنا رايتني ابتعد عن الشيخ المعجب بولده .. ابتعد وراء الماضي ، ليطالعني وجه ذلك الشاعر ، وهو ينظر الى ولده بعين الشيخ ابي سعيد ، فيرى فيه دنيا حافلة بكل جليل ، مليئة بكل جميل .. فينشد :

ولـدي .. لو رايته لرايـت   السعد واليمن في المراح الخصيب

او يبلغ به الاعجاب بولده حداً يراه وهو في عينه الواحدة ، يفوق في مضائه كل مضاء ، ويعدل كل من كان ذي عينين فيقـول :

في عزمه كالسيف ذي الحديـن   في عينه يعـدل ذي العينـين

انهم الآباء .. لا يـرون شيئا يفوق ابناءهم كمالا وجمالا ، مهما كان هؤلاء الابناء ، بل انهم يرونهم على حد قـول الشاعـر :

وانمـا اولادنـا بيننـا   اكبادنا تمشي على الارض ..

. ومن اجل ذلك لم اعجب .. حين سمعت ما سمعته من الشيخ ابي سعيد عن ولده بل انه « ابو مازن » .. وان الغريب عنده ان لا اراه مثلما يراه .. ! !

هـل نتعلـم ؟

كان بين يدي سفر من اسفار هؤلاء الذين سبقونا في غابر الدهر ، ممن سطروا لنا تاريخهم الزاهر ، يوم كان لنا تاريخ زاهر ، وذكر عاطر ، وفي هذا الذي قراته يقـول كاتبه : انهم سالوا « قتيبة بن مسلم » القائد العربي المعروف ، وكان يعد العدة ، لارسال جيش جرار الى جهة من جهات خراسان الفسيحة ليلقى عدوه هنـالك ، فعل الذين سالوه : ما لك لا ترسل «وكيع بن ابي مسعود» على راس جيشك الذي تزمع ان تسوقه الى عدوك في خراسان . لتستاصل شافته ، وتمحو اثره ، فهو رجل صراع وقراع ، وفارس ملاحم ؟

فقال يرد على سائليه : اني لا اجهل ذلك منه، ولا انكر له جهده وجهاده ، وصدق بلائه في عصيب الازمـات وحازبات الامور .. ولكني مع ذلـك لا اضعه في هـذا الموضع الذي اراكم تندبونه اليه ..

فعجب محدثوه من ذلك الذي يسمعونه منه ؛ وعادوا يسالونه : وفي م ذلك يا ابن مسلم ما دمت لا تجد ثغرة تلج منهـا اليـه ؟

فقال يجيبهم : بل هناك ثغرة يا ابن اخي ولجـت اليه منها ، فلم يغن معها ما ذكرتموه من حميد شمائله !

قالوا : وما تكون هذه الثغرة ؟!

قال : بلغني ان الرجل اذا ما توجه لعدوه ، اخذته العزة بنفسـه ، وملكه من الغرور بقوته ونجدته ، ما يحمله على عدم الاكتراث به ، ويصرفه عن الاحتفال بشانـه ، فيكون ذلك وحده مجالا لعدوه ان يجد فرصته المؤاتيـة فيه ، من حيث يدري ويعلم ، لا من حيث يجهل .. ولا يدري !! ومن اجل ذلك وحده ترونني لا انلبه الى المكان الذي اشرتم اليه ، مخافة ان يكون حصاده من عملـه ، المصير الذي حدثتكم عنه ..

ذلك ما قرأته من اقوال الماضـيين .. وانه لقول جميل محكم .. تهيأت لي ذات يوم قراءته ، فاعجبت به ووقفت عنده واطلت الوقوف ـ واعاد الى نعسي قديم الاحداث وقريبها وذكرني منها باليم موجع .. ذكرني باننا لقينـا عدونا ذات يوم ، بمثل الشعور الذي كان يتملك ذلـك القائد المغامر الشجاع وكيع بن ابي مسعود ، فاذا هـو يجد منا الهدف الذي يبغي ، واذا هو يدخل علينا مـن تلك الثغرة المفزعة ، التي دخلوا منها على ذلك القائـد ذات يوم ، فيصيب منا فرصته المؤاتية ، من حيث ندري ونعلم ، وسبب ذلك ان هذا الذي ندريه ونعلمه لم نعـد له عدته ،ولم نحسب له حسـابه ..

ترى .. هـل نتعلم من عبر السـابقـين وتجـارب اللاحقين ؟ هل نتعلـم من اخطائنا التـي كلفتنا الثمـن الباهظ ؟! ليت شعري .. هل نفعل ذلك ؟!

عمان ـ الاردن   محمد سليم رشدان

كيف ؟

كيف لا احمل فـي قلبي حسره
كيف لا اضرم في عيني عبره
ثم امشي في دروب النور عامـا
بعد عام
باحثا في مدن النمل وفي ارض الطغام
عـن ازاهير تنامى
لوحتها شمس انسان الحياة
واغان ضمخت بالذكريـات
مـنذ آلاف السنين !!
كيف لا اسهر في ديجور شعبي
مشعلا شمعة حب وامـان
في طريـق الفارس الآتي ،
على صهوة احـلام الزمان
عبر اشواك المنون !
كيف لا امضي الى الشوط الاخير
مع احرار بلادي الاوفياء
والملايين التي ترفع رايات الضياء !
كيف لا اهدم من سور الشقاء
حجرا من اجل ان يشرق فجر البشر
ضاحـك النـور
محلى بنشيد القمر

قنيطرة ـ سورية   رضوان عقل

بقلم رياض نصور

عندما هبطت من السيارة ، رأيته على عتبة الدار شاحبا هزيلا . التجاعيد تملأ وجهه بآلام عميقة ، كأرض مر عليها المحراث عدة مرات. نظر الي بعينيه الرماديتين الجميلتين. تهالكت الكلمات متعبة على فمه ، والقى عكازه جانبا . ضمني الى صدره وبكى . كانت عبراته الغزيرة تتساقط على خدي . فشرقت بدموعي ..

— هذا هو ابوك ! اترى كيف اصبح ؟ اهذا انا ؟

ردد ذلك بألم .

لا . لا يا ابي ! تجاوزت الثمانين وانت تتحدى الشباب بمشيتك وحيويتك ونشاطك . رددت ذلك في نفسي ، وانا اجتاز عتبة الباب ، ووالدي يستند على يدي . حتى اجتزنا المشى في طريقنا الى غرفته. ثمة زجاجات ادوية صغيرة ، الى جانب كتبه التي احبها . كتبه القديمة الصفراء التي يتغنى بشعرها ويردده في المناسبات. ابي لم يتعلم في مدرسة . ومع ذلك فهو يقرأ . ويحب الكتب .. وعندما يتعب كنا نقرأ له ونحن صغارا .

ابي ما كان جبانا ، ولا كسولا . كان جبارا قويا ، عنيفا ، احيانا ، وناعما ، رقيقا ، ضعيفا احيانا اخرى . يختال في مشيته متنقلا كالحجل . يهرب من الشوارع المزدحمة ، خوفا من السيارات المسرعة ، ويفضل عليها الازقة الضيقة . يكره الطب والاطباء ، ما تناول دواء في حياته حتى الثمانين.

منذ عامين ، كان يجلس على الرصيف بانتظار صديق . اجتاحت سيارة سائق ارعن الرصيف ، وضربت والدي . حمل الى اقرب مستشفى مصابا بعدة كسور ورضوض . عندما حضر الشرطي ، وسأل ابي عن الحادث ، اجابه بتؤدة وصبر ومن خلال الامه العنيفة: انه القضاء والقدر ، حصل الحادث عفوا . ليس لي دعوى ضد احد . ووقع بإمضائه .. عندما ذهب الشرطي نظرنا اليه مشدوهين . وكان يبتسم مرددا : هل يريد السائق فعل هذا ؟.. طبعا لا ..! حصل ذلك عفوا وكان من نصيبي . اعتقد ان السائق يتألم لما جرى ؟ ماذا استفيد من سجنه او ضربه ؟؟ ... كونوا متسامحين يا اولادي ، فالله متسامح كريم . وظل والدي اياما يسأل عن السائق الذي حطمه ، وعندما زاره ، استقبله بالابتسام والترحيب .

كان اطباء المستشفى يبتسمون للرجل العجوز الصابر ، ولا يفعلون شيئا . جاء كبيرهم اخيرا ، واطل بوجه كالسبح بغيض . نظارتاه تتراقصان فوق ارنبة انفه . القى التحية علينا . ثم نظر الى وسط المريض، والى قدمه المرفوعة بانشوطة. ثم همهم بكلمات غير مفهومة ، مظهرا سأما وملالة .

— الافضل ان تأخذوه الى المنزل.

— وكيف تأخذه يا دكتور ، قبل ان يتعافى تماما ؟ وقبل ان يعود الى سابق عهده ؟

— انه رجل عجوز . لماذا لا تقول بانك ستزوجه ايضا ؟

— هل هو في خطر يا دكتور ؟

— طبعا انه عجوز !

— انه ابي .. وانا احبه ..

— إعرف انه ابوك ، وانك تحبه !

— ابي ما كان عجوزا ابدا يا دكتور! لانه لم يستعمل ادويتكم ولا مرة واحدة في حياته . لم يعترف ابدا بكم وبشهاداتكم . انتم دجالون في نظره .. واعتقد انكم كذلك .

ضرب الطبيب بيده على الحائط . وردد ماذا تقول ؟ ما هذا الحديث يا استاذ ؟ خذوا والدكم لا اريد ان يموت في مستشفاي . ومضى من امامي مهرولا كالقط المذعور ..

بعد ساعات كنا مع والدي في سيارة مسرعة الى بيروت . كانت الابتسامة تعلو وجه الرجل المريض رغم الامه . هذا الرجل الذي لم يتناول الادوية في حياته .. وها هو يتناولها بالجملة مجبرا .

في بيروت ، طمئننا الطبيب ان صحة والدي العامة جيدة جدا . انما يلزمه عدة عمليات جراحية . وهو لا يكفل ان يعود ابي الى المشي ما لم يكن قوي الشخصية . الاعتماد على النفس هو الاساس . لان الضعف والانهزام والاستسلام للشيخوخة يتركه قعيدا في الدار .

لكن ابي مشى بعد العمليات . ومشى بمفرده ، وان كان يظلع قليلا في مشيته .. لقد مشى وعاش طويلا متحديا الطبيب الكهل ، الفارغ، المتعجرف في بلدنا .

سنتان واكثر مضتا، لم ار خلالهما والدي . وها انا اراه من جديد . بداه الضعيفتان تلفاني ، وهو كالسحابة البيضاء يغمرني بحنانه . نحن في شوق .

وتنهمر الدموع على صفحة وجهي من جديد . وتتالى الذكريات. فليس للشيخ الا صور الماضي . تسكره الاحاديث عنها ، فيمضي حالما في خضم الذكريات . اما الحاضر فهو بالنسبة له صور مهزوزة تتأرجح امامه وتضيع .. انها ليست شيئا. يشكو التعب والنسيان . وليس لما يشكوه من دواء ، اذ ليس للشيخوخة

دواء .. ولو كان لها لاشتريته بكل ما املك .

وتهادت قصص والدي وانا الى تربه . وكلها من الماضي . كانت احاديثه تملؤني ظلاً ، وفيء ، وحياة . ذكرني باشياء وأحداث كنت نسيتها لكثرة ما اعترى حياتي من احداث جسام .

كنت موظفا في مصلحة السكة الحديدية ، وانا ما ازال فتيا طري العود ، قليل الخبرة ، كان ابي يزورني دائما في مقر عملي . يقضي معي أياما ، خوفا علي من الانجراف في تيار الميوعة والانحلال . كنت ظله . استأنس برايه ومشورته .

كان زميلي في العمل آنذاك ، ورئيسي بنفس الوقت ، انسانا معقدا ، خبيثا ، انانيا . يكره الناس ، كل الناس ، ويعاملهم بلؤم وقساوة وغدر . كانت المحطة بعيدة عن القرية . وذات يوم تركت المحطة لشراء زجاجة للقنديل المكسور في غرفتي . وعندما عدت مساء وقبل موعد عملي بقليل ، كان القطار ما يزال واقفا في المحطة وباحدى غرفه كان المفتش يستمع الى زميلي الموظف وهو يشكوني بمرارة . وفجأة رآني المفتش ، فاشار نحوي قائلا : ها هو لقد حضر ! كيف قلت انه لن يعود الا مخمورا ! وقد رأيته بأم عينك ينتقل من حانة الى اخرى . وما زلت تقسم على ذلك باغلظ الايمان .. انصرف من وجهي ايها الكاذب . وطلب مني ان اتقدم منه مستنشقا رائحة فمي .. ثم مزق الورقة التي كانت مكتوبة في دفتر مفكرته . وربت على كتفي مرددا :

ــ آمل ان تظل دائما عند حسن ظننا ، شابا طيبا مهذبا .

وصفرت القاطرة : ورحل القطار . ولم اعد اكلم زميلي الا لماما .

اما هو فقد كان مدمنا على الشراب والقمار ، وكثيرا ما حاول اشراكي معه . غير أنني كنت أرفض بإباء واهرب منه ..

ذات يوم ، كانت خسائره في القمار فادحة . وعندما نفدت نقوده بكاملها ، التجا الى الصندوق فاخذ منه مبلغا ضخما خسره ايضا . وعندما صحا من سكرته في اليوم الثاني . كان يضرب رأسه بجنون ويصرخ . دعاني اليه وسلمني الصندوق على حالته من النقص في اموال الشركة مع مفاتيحه . وسافر الى بلدته ليجمع من الاهل والاقارب قيمة المال المسروق قبل حضور المفتش .

وبالصدفة ، وصل المفتش في اليوم الثاني . تركته في المكتب . واتيت الى غرفتي لاخذ مفتاح الصندوق وانا اضحك . واخبرت ابي الذي كان عندي ان ساعة الانتقام قد دنت . وبان المفتش لن يلبث ان يكتشف السرقة ، وسيطرد الموظف السارق حتما .

تكورت يد والدي على كتفي بقوة . واحسست ان عظامي تكاد تتكسر . كدت اصرخ وانا اجلس على حافة الفراش . لن تاخذ مفتاح الصندوق! سقط المفتاح من يدي فتناوله ابي ، ووضعه في جيبه . كانت نظراته في وجهي صاعقة ، وكان يرتجف . قلت له : اذا لم احمل له المفتاح اجازى ، ويعتبر ذلك اهمال مسلكي ، اذا لم يجر التسليم والاستلام بين موظف واخر .

اجاب بصلابة : التضحية ضرورية .. الجزاء اخف شرا من الطرد .

قلت له : انه خسيس واناني .

فاجاب : لنكن احسن منه ، ولنعطه درسا في الشرف والاخلاق .

وادار ظهره لي حسما للمناقشة ، والمفتاح في جيبه . عدت الى المفتش وجلا معتذرا لضياع مفاتيح الصندوق . وصمني بالقصور والاهمال . وارسل لي اخطارا رهيبا سجل في دفتر الشركة مع حسم يومين من الراتب .

عند عودة زميلي بكى وهو يقبل يدي والدي ويتمرغ عند قدميه .

واصبح صديقا وفيا لي ، وظل يكاتبني فترة طويلة .

كانت زيارتي لوالدي قد انتهت عندما قبلته مودعا .

كان صمتنا ابلغ من الكلام . وكانت قصص الماضي الحلوة تلوح وترتد ، كانت كالسحاب المتهادي تهل لانظارنا وتمضي . كالايام التي تنقضي . تذوب وتتلاشى ، كأنها لم تكن ...

ابي ليس له الا الدموع يطلقها مدرارا من عينيه الحبيبتين الرماديتين . وهو يلوح بيده المعروقة وانا اصعد الى السيارة مودعا .

احس ان السحابة البيضاء كانت ، وما زالت تغمرني بحنانها وظلها وجمالها ..

وانا امضي ، والدموع في عيني ، في طريقي الى المجهول .

اللاذقية **رياض نصور**

صدود

عاطيتني متع الشباب فضج بي — قلب على الاحداث ليس يلين
واربد افق واحتواني عاصف — وزهى الشباب وللشباب فتون
فارتعت اذ عبث الضياع بخافقي — وحسبت اني بالفؤاد ضنين
ومضيت مطرقة ودمعك فائض — وتلاحقت اثر الظنون ظنون
فتطمت في موج الضباب قصائدا — والقلب من هول الصراع طعين
حتى اذا سمح الزمان بنجوة — لا انت هنت ولا الشباة تهون

حلب **احمد يحيى بوادقجي**

نسيب عريضة

بقلم شكر الله الجر

* * *

لو لم يكن شاعرا متصوفا لكان راهبا ورعا .. وقد البسته المدرسة الروسية في الناصرة ثوب المهيئين للرهبنة يوم كان من طلابها . ومن رفاقه فيها الاستاذ الكبير ميخائيل نعيمه . ومرت الايام تعمل عملها بالطالب الطاهر النجيب وهو يتفتح في جو مليء بالتخشع الذاتي والفضائل الادبية التي اشتهر بها المبشرون الروس في مؤسساتهم الخيرية ومعاهدهم العلمية في ذلك العهد .

خرج نسيب عريضة الى العالم وعليه ظل من ظلال البردة السوداء وقد تلفع بها سنوات عديدة في ارض يهيمن عليها من الاماكن المقدسة في فلسطين اجمل الهامات الروح وابعدها اثرا في النفس . ومن رافق هذا الشاعر في حياته عازبا ومتزوجا عرف [illegible] انسانية جمة الى مواهب ادبية غزيرة ، ومن وقف على مجموعة ما نظم ونشر دهش للتجانس الروحي بينه وبين صفيه وزميله الاستاذ نعيمه ولتلك النزعة الصوفية فيما انجباه من ادب جميل يصل بك احيانا الى ما وراء هذا الكون في تاملاته الروحية العميقة وبحوثه النفسية الجليلة اضف الى ذلك عند شاعرنا نسيب اشواقا ملحة مكبوتة ، تقف بك على عتبة الندب احيانا والزهد بهذه الدنيا الجاحدة التي لا تصلح مقرا لمعطيات الروح ولا ممرا للانفس المتعطشة الى معرفة المجهول . وطالما اننا لا ندرك ما هي الغاية من وجودنا .. بل من وجود تدور به المتناقضات فالعيش اذن بلا طائل ..

لماذا نحب ؟ لماذا نحس   لما نعيش بلا طائله
لماذا تهب الرياح على   شواهق ليست بها حائله
ونحرم من بردها مهمها   به اوشكت تهلك القافله
لماذا السفينة تطلب ريحا ،   ومن تحتها ابحر هائله
وفي القفر عطشى يريدون ماء   وريح السموم بهم نازله

بلى بهذه النفس الحائرة المترعة بالاحساس ، المكبلة بسلاسل الضعف البشري ، المشدودة الى الارض المتأرجحة في الفضاء التائهة في صحراء الحياة تئن أنينها نسمع الشاعر امام ذاته الباطنة يسائلها ويعاتبها ويهتف بها للرجوع الى الصواب .

يا نفس ما لك والانين   تتألمين وتؤلمين
عذبت قلبي بالحنين   وكتمته .. ما تقصدين

يا نفس ما لك في اضطراب   كفريسة بين الذئاب
هلا رجعت الى الصواب   وبدلت ريبك باليقين
او ما لحزنك من براح   حتى ولو ازف الصباح
يا ليت سكرك لي مباح   لاعي صدى ما قد تعين !

ويمضي الشاعر في حيرته وكلما امعن بالتحديق في غوامض الحياة واسرارها زاد شعورا بوحدته في طريقه البعيد .

دربي بعيد وانا وحيد
فلا رفيق او دليل في الطريق
فلا سلاح او دعاء من صديق
وارحمتاه لمن يسير بلا وطاب
بين القفار وقد تعلل بالسراب
ما من مجيب .. ما من حبيب

سر يا شقي كذاك تشكو ما دهاك
العدل لا شاك من البلوى سواك
كم ذا تفتش عن مواس او معين
هيهات ان الناس مثلك اجمعين

ولو ان الشاعر عاد الى بيئته الشرقية المتواضعة المنكمشة على نفسها ليعيش عيشها الهادىء في احضانها لما عصفت به هذه الوساوس والشكوك تقض مضجعه وتغص بها اعصابه ولكنه وقد قذفت به الاقدار الى مدينة الاصنام الذهبية نيويورك جنة جمع سكانها شهوات الارض كلها بين جدرانها ووقف الدولار سيدا يخطب على منابرها مهيبا بابنائها الى موائد المدام وأسرة الغرام وانتهاب اللذات قبل الحمام فكان طبيعيا جدا ان يجد هذا التناقض بين ما انطبع على غلاف نفسه من صفاء الايمان وسذاجة الحياة في بيئته المدرسية وسماء بلاده الوردية وبين ما تراكم من غيوم الشهوات البشرية وصخب المدنية في سماء بيئته الاميركية . ولانه لم يقو على الجمع بين الطمأنينة والقلق والايمان والشك بين امسه ويومه انفجرت نفسه بهذه الروائع الشعرية الجميلة تحمل الينا صورة عن هذا الصراع النفساني العنيف يتردد في قوافيه المعذبة الجريحة .

واليك ايها القارىء الكريم من شعره « ترنيمة السرير » وكأنه امام ام حنون طوقها الفقر وطاف بسرير وحيدها الجوع وقد جف لديها لجفاف الرزق في يدها فبسطت ذراعيها نحو السماء ضارعة متألمة .

ظلام الليل قد جنا   وبوق الهم قد رنا
فنم يا طفل لا يهنا   فتسي بات شيطانا
تعالت البلوى نطاقا   فنم لا عين ترعانا
اذا ما صبحنا جانا   حسبنا الصبح الفانا
الا يا هم يكفينا   لقد جفت ماقينا
لو ان الدمع يقلونا   الفنا بعض بلوانا
بكى طفل فلم يرضع   لديا درها الدمع
وقل الطفل جوعانا ..

لا مشاحة ان للثقافة الروسية اثارها المغموسة في نفسية الشاعر ترفرف عليها اجنحة سوداء من خيالات

ارض الكرامة..

سلمت يمينك ايهـا البطـل ... فالبغي ولـى وهـو منخذل
قـد غره غـدر مضى زمنـا ... فالدهـر فـي ايامـه دول
هـذي الديار ديارنا رقـدت ... فيهـا الاصول ، اصولنا الاول
خسيء الدخيل فلـن يقر له ... عيش ولـن يحيا لـه امـل

ارض (الكرامة) انت خالـدة ... للعـرب فيك من الفدى مثل
جاء العدى يبغـون فيك اذى ... وتعللـوا مـا شاءت العلـل
فـاذا المعاقل وهـي مرعـدة ... ترديهمو مـن قبل ان يصلـوا
واذا الحـراب البيض عاملـة ... بـين الضلـوع كانهـا اسل
واذا الزنود السمر تحصدهم ... حصدا ذريعا اينمـا نزلـوا
حتى فتاة الخـدر قد خرجت ... بـين الرجال كانهـا رجـل
غضبى تخوض الحرب مقدمة ... لـم يثنها اذ اقدمت وجـل
تلقـى العـدو كانهـا قـدر ... قـد جاءه اذ جـاءه الاجـل
فاذا العـدو يفـر مـن جزع ... لـم يحمه سهـل ولا جبـل
ضاقـت بـه ذرعا مسالكـه ... فدروبـه بالنـار تشتعـل
ومدافع (الاردن) تمطـره ... حممـا تضيق بمثلهـا السبل
لـم يجـده عـدد ولا عـدد ... ابـدا ولا مكـر ولا حيـل
مـن رام ماسدة اصاب اذى ... او بات وهـو لاسدها اكـل

حلب ... محيي الدين الحاج عيسى

بعض شعرائها الرومنسيين أمثال سولوكوب في قصيدته « النوم والمنيـة » وتيوكشف في قصيدتـه « الصمت » وسواهما من شعراء الامس وقد ترجم الشاعر القصيدتين الى العربية متوخيا الصد ق والاجادة فكان حليفه التوفيق كمـا قـال .

نشأ شاعرنا في مدينة حمص بين خمائل العاصـي واستحم بمائه ونشر جناحه للشمس والنسيم تحـت سمائه وما برح مدى اغترابه يحن حنينه الـى فردوس طفولتـه ومـن شعره .

اعرفتها تلك الربـوع التاليـة ... مـا بـين لبنـان وبـين الباديـه
والذكريـات وقد بدين طلائعـه ... نادين عنـك بحسرة المطـرود
يـا حمص يـا بلـدي وارض جدودي
يـا جارة العاصي اليك قد انتهى ... املـي وانـت المبتغي والمشتهى
قلبـي يرى فيـك المحاسن كلهـا ... وعلـى هـواك ادين بالتوحيـد
يـا حمص يـا بلـدي ومهـد جـدودي

كـان شاعرنا واحداً من أعضاء الرابطة القلميـة في نيويورك مشى في موكبها وحلق في جوها والتفت بغيوم حيرتها وشكوكها وقد اجتمعت عليه الوان من المصائـب اترعت كاسه بالعلقم حتى اوشك ان يفقد ايمانـه بعطف السـماء ولكنه ظل متمسكا ببقية من رجاء متجلدا علـى الفاقة والمرض حتى تدحرج الكاس من يده وطارت عصفورة الحياة من قفصه .

ومن شاء أن يتعرف على حقيقة هذا الشاعر ويلـم بصورة شاملة عن ذاتيته فليعد الى ديوانـه « الارواح الحائرة » فانه لواجد بين دفتيه نعشا مطرزا بالحسرات مكللا بالدموع . وكم شاعر كان ديوانه نعشه وقوافيـه اكفانه يطل من خلالها وجهه وعلى شفتيه ابتسامة الهزء بالحيـاة ..

ولما اقامت الجاليـة الحمصية في البرازيل حفلـة تابينية للشاعر كان لصاحب هذا المقـال قصيدته فـي الحفلة وقد جاء في ختامها .

قـل للنسيب وقد عز النسيب به ... وعـز ان ترتقـي الارواح ذروتـه
هياكل الشعر ديك الجن ذنسها ... فكنت كفارة الجنـي وتوبتـه
بلغت من (ارم ذات العماد) مدى ... كواكـب الشعر لم تبلغ مجرتـه
وظل رائدك الحق الـذي غيبت ... ابصارنا عنه حتى جئت سدتـه
ففضضت ختم الليالي عن طلاسمه ... لـمـا اباحت لك الارواح حصمتـه
كفى بحمص فخارا انها ضفـرت ... لمفرق الشعر تاجا كنت دريتـه

جبيل ـ لبنان ... شكر الله الجر

رومان رولان

رومـــان رولان

بقلم الدكتور قنبر مجيد الطويل
رئيس قسم اللغة الفرنسية في كلية اللغات بجامعة بغداد

« ان الذي يعرفني والذي قرا ولو واحدا من كتبي ، سيقـول من لهجتي انها كانت لهجة رجل « منفصل عن العالم » او سيقـول عني انني رجل قدمزقته الام العالم فهو يكافح للتقليل من هذه الرزايـا او للتخفيف من حدتها » . (الى هنري بلوبوس ١٩١٩) .

* * *

ليس بمستطاعي ان اكتب كلمة تعريف وافية برومـــان رولان ، لهذا اجد نفسي مضطرا كل الاضطرار لان اوجز غاية الايجاز ، مارا مرورا سريعا عابـرا ، وملما باهـم الاحداث الكبيرة في حياة رومان رولان الخصبة وفـي اعماله الكثيرة .

ولد بتاريخ ٢٩ كانون الثاني ١٨٦٦ في كلامسي من منطقة برغوني من عائلة برجوازية كاثوليكية ، سكنت منذ قرون هذه البقعة من فرنسا ، وعرف افرادها بانهـم مواطنون صالحون وجمهوريون مخلصون حتى ان احدهم كان من كبار ثوار « الثورة الفرنسية » .

كان رولان في طفولته مريضا وحيدا وكان يحس بان شبح الموت يهدد حياته ويجوب في ارجاء البيت . وكان شعوره بالوحدة شديدا بين اترابه فـي القرية . وعندما بلغ الرابعة عشر من العمر ، انتقلت اسرته الـى باريس ليتم دراسته العالية . وكان احساسه بالوحـدة اشد بالرغم من ان له زمـــلاء امثال : « ليون دوديه » و « جوزيف بديه » و « بــول كلودل » و « انــدره سوارس» . وقد عبر عن ذلك فيما بعد قائلا : «وتفاقمت حالي سوءا حين انتقلت الى باريس ، في شهر تشريـن الاول من عام ١٨٨٠ ، فان جو مدرسة الليسيه ، وهذه التكتة لليافعين الاغرار ، وثوران الحي اللاتيني وحمى الشوارع القذرة والمدينة الهوسة . كل ذلك قد عصـر فؤادي عصرا (١) » . شعر رولان ان اجواء باريس غيـر نظيفة وانها لا تطاق ، فكانهانتقل من قريته واجوائهـا التي كان يحسبها سجنا الى باريس التي رآها سجنـا آخر . ومرت بــه ، وهو في هــذه المدينة الصاخبة المحمومة ، ازمة شديدة فقد فيها ايمانه بالدين المسيحي، فانقذتـه مطالعاته العميقة للفيلسوف « سبينوزا » من شكه وحيرته ويأسه ، وادخلت في نفسه المظلمة اضواء من الايمان .

دخل رولان مدرسة المعلمين العليا وتخصص فـي التاريخ الا ان ميوله اتجهت الى الموسيقى فاعجب كـل الاعجاب بـ «بتهوفن» و بـ « فاكنر » . ومالت رغباته نحو الادب فاعجب ايما اعجاب بـ «شكسبير» و بـ «هوغو» لم تأثر بالادباء الروس وبالاخص بـ «تولستوي» . وجـرت بينهما مراسلات ومن الطريف ان الحكيم الروسي اجابه على رسائله الاولى اليه ، برسالة طويلة من ثمان وعشرين صفحة ! وكتب رولان الى الفيلسوف « رينان » فدعـاه هذا لزيارته ودهش لذكائه . وبعد تخرجه في مدرسـة المعلمين العليا ارسل في بعثة الى « روما » وفي هــذه المدنة الخالدة تعرف على « مالفيدا فـون ميزانبورغ » صديقة فاكنر والفيلسـوف نيتشه وكان عمرها آنـــذاك (٧٠ عاما) وكان تأثيرها عليه كبيرا اذ اخذت بيده ودلته على طريق الابطال والعباقرة .

بدأ رولان حياته الادبية بمحاولات فـــي كتابـــة المسرحيات المستوحاة مـــن عصر النهضة حتـــى بلغت مسرحياته احدى عشرة مسرحية (٢) . وفي هذه المرحلة من حياته راسل المسرحي النروجي « هنريك ابسن » معربا له على رأيه في مسرحياته التي كانت تمثل حينذاك فـي باريس ، ومصورا له ما اثارته في نفسه من المشاعـر . فاجابه ابسن برسالة شكر وتقدير لمواهبه .

تزوج رولان من « كلوتيلد برئال » وكان ابوهااستاذا كبيرا في « الكوليج ده فرانس » ونزولا عند رغبة زوجته واهل زوجته اضطر ان يحضر للدكتوراة ، فنالها بدرجة شرف في الادابسنة ١٨٩٥ ، وكان موضوع رسالتــه « الجذور الفنائية للمسرح الحديث » . وقد اصــدر مجموعة من المسرحيات في سلسلتين : سلسلة تراجيديا الايمان وسلسلة مسرح الثورة ، وقد نشر مقالات عديدة عن المسرح ، داعيا فيها الى « مسرح الشعب » . الـى مسرح شبيه بمسارح القرون الوسطى والمسارح الاغريقية ولم تلق مسرحياته اجواء ملائمةلها فانصرف عنها الى حين .

لقد انفصل رولان عن زوجته ، في بداية القــرن العشرين وترك الطلاق في نفسه المرهفة ، اثرا بليغـــا وجرحا عميقا . ولقد كان في هذه المرحلة مـــن حياته

وحيدا مريضا وفقيرا وليس معروفا الا بين كوكبة من الاصدقاء المخلصين ، وفي أجواء نفسية صعبة وقاسية كهذه الاجواء ، اصدر كتابا صغيرا عن حياة « بيتهوفن » ١٩٠٣ ، داعيا فيه الى تنسم انفاس الابطال والسير على آثارهم في الحياة واصاب في كتابه هذا نجاحا باهرا وشيئا من الشهرة وبعد سنة تعين رولان استاذا في السوربون ليدرس تاريخ الفن ، في هذه السنة نفسها اخرج الجزء الاول من روايته الملحمية الكبرى « جان كريستوف » وكانت فكرتها تختمر منذ سنوات في نفسه وكان يدعو فيها الى البطولة الانسانية والاخاء البشري في العالم باسره ، وقد صدرها بهذه الكلمة الرائعة : بهذا الاهداء العميق : « الى النفوس الحرة من جميع الاوطان، التي تتألم والتي تناضل والتي ستنتصر » وقد تناول في هذا الصرح الروائي الشامخ حياة موسيقي عبقري ، طفولته شبيهة بطفولة بيتهوفن ، حياة موسيقي يصطدم بمشكلات عصره واحداث زمانه ويلاقي من جراء ذلك الكثير من المتاعب والمصاعب ، مارا بمراحل عديدة حتى يتاح له أن يحقق في حياته وفي فنه المثل الرفيعة ، لقد بلغت الرواية حدا بعيدا من الروعة والابداع ، حتى اصبح رومان رولان بعد اتمامها في ١٩١٢ ، وهي بعشرة اجزاء ، مشهورا في اوروبا وفي العالم . وفي ١٩١٣ منحته الاكاديمية الفرنسية جائزتها الكبرى عن روايته « جان كريستوف » وسافر بعد سنة الى سويسرا/وفي اثناء وجوده فيها ، اندلعت الحرب العالمية الاولى ، وكانت ضربة كبيرة الى دعوته الانسانية . وقد كتب سلسلة من المقالات السلمية ، مندداً بالحرب ومثيريها ، وكانت اشهر مقالة فيها « فوق المعمعة » وهذه المقالة اسيء فهم عنوانها فقد كان عنوانها من قبل «فوق الاحقاد» وقد احدثت مقالته تلك دويا بعيد الاصداء وقد جلبت عليه سخط الفرنسيين والالمان على السواء .

وفي ١٩١٦ منحته الاكاديمية السويدية جائزة نوبل في الاداب : « تحية لنزعته العالمية في اعماله الادبية ، وتقديرا لعاطفته الكريمة ، وحبه للحق في تصويره للنماذج المختلفة من الشخصيات الانسانية (٣) » وقد وزع مبالغها على جمعية الصليب الاحمر وبعض المؤسسات الخيرية . وبعد انتهاء الحرب اصدر منشورا عالميا دعا فيه الى « استقلال الفكر » وقع عليه الاف من كتاب العالم ومفكريه نذكر منهم على سبيل المثال هذه النجوم اللامعة في سماء الفكر العالمي : رابندرانات طاغور ، برتراند راسل ، هـ. ج. ولز ، بنديتو كروتشه ، البيرت انشتاين ، ستيفان زفايج ، جورج دوهامل ، بول هيس، سنكلير يوبتن ، مكسيم غوركي .

وفي سنة ١٩٢٢ اقام رولان في سويسرا وانتج رواية « النفس المسحورة » بسبعة اجزاء ، وهي رواية ملحمية على غرار جان كريستوف تعالج مشكلات المرأة الحديثة واحداث جيلها وانتهما سنة ١٩٣٤ . لقد خيبت حضارة اوروبا آمال رولان فيها فولى وجهه نحو الشرق العميق فاعجب بالمهاتما غاندي وبفكرة اللاعنف فكتب حياته ودافع عنه دفاعا حارا رائعا .

وعندما بلغ الستين من عمره بادر ثلاثة من كبار الادباء هم زفايج ، دوهاميل ، غوركي الى تكريمه تكريما اسهم فيه العديد من الشخصيات الكبيرة امثال : فرويد، انشتاين ، سلمن لاجرلوف ، شوايتزر ، طاغور ، غاندي. وقد جمعت كلمات الترحيب هذه في كتاب ضخم (٤) صدر بهذه المناسبة . وفي الوقت نفسه اصدرت مجلة « اوروبا » عددا خاصا به .

وفي فيل نف ـ في سويسرا ـ غدا بيت رولان ذي القلب الكبير والنفس السخية مزارا للمفكرين الاحرار فزاره طاغور ـ نهرو ـ من الشرق . وقد تعاظم اهتمامه بالفلسفة الهندية ، فنشر حياة المتصوف الكبير « راما كريشنا » وبعد سنة حياة تلميذه الشهير «فيفا كاناندا» (٥). وفي نهاية ١٩٣١ ، نزل غاندي ضيفا عند رولان وكان زعيم الهند متلهفا لرؤيته . وفي سنة ١٩٣٢ تراس المؤتمر العالمي ضد الحرب الذي انعقد في امستردام . وفي سنة ١٩٣٣ منحه هتلر وسام « غوته » تقديرا لعبقريته وتمجيده للعبقرية الجرمانية المتمثلة في بيتهوفن وغوته الا ان رولان رفض الوسام وكان رده ردا عنيفا هاجم فيه النازية هجوما شديدا .

وعندما بلغ السبعين ، وكان في قمة الشهرة العالمية اقيم لتكريمه احتفال ضخم في باريس برئاسة « اندره جيد » . وكان رولان في هذه الاثناء يعيش في سويسرا منذ ربع قرن على التقريب ، ويبدو انه كان لتكريمه هذا من قبل مواطنيه ، اثر بليغ في نفسه ، شجعه على العودة الى فرنسا ، ارض اجداده فعاد اليها في ١٩٣٨ ، الى « فزليه » وهي قرية تقع بالقرب من مسقط راسه « كلامسي » . ونشبت الحرب العالمية الثانية وهو في قريته مريض ، ورغم مرضه وشيخوخته كتب حياة صديقه الشاعر « شارل بيكي » الذي استشهد في بداية الحرب العالمية الاولى . وفي ٣٠ كانون الاول ١٩٤٤ مات رومان رولان وبموته فقد العالم كاتبا انسانيا من اكبر كتاب القرن العشرين ، وخسر به رجلا من اعظم رجال العصر ومفكرا من ابرز اعلام الفكر العالمي . وقد اراد ادباء فرنسا برئاسة الشاعر « بول فاليري » دفنه في مقبرة العظماء الشهيرة . وعندما فتحت وصيته وجد فيها انه يطلب دفنه في مقبرة بسيطة وديعة هي مقبرة « برف » التي تبعد عشرة كيلومترات من مسقط رأسه .

ترك رومان رولان بعد مماته يوميات ضخمة (٦) لو نشرت لبلغت خمس عشرة الف صفحة ورسائل (٧) بلغت اكثر من اربع عشرة الف رسالة كان راسل بها مختلف المفكرين والادباء ومن مختلف الاقطار نذكر منهم على الصعيد

العالمي البيرت شوايتزر ، وريشارد شتراوس ، وهرمن هيس ، وغبريل دانيزيو ، والبيرت انشتاين وستيفان زفايج ، وبرنارد شو ، وهـ. ج ولـز ، وتوماس هاردي ، وبول كلودل، وجورج دوهاميل، واندريه جيد ، وطاغور ، وغاندي (٨) ... الخ وكتب رسائل الـى آلاف القـراء المجهولين في ارجاء العالم .

ترك رومان رولان من المؤلفات عددا ضخما يربو على الثمانين كتابا ، وهي من الوفرة والتنوع والاتساع بحيث تتناول الموسيقى وحياةالموسيقيين وفن السيرة والمسرحية والرواية والمقالة والمذكرات . وقد ترجمت مؤلفاته الـى جميع اللغات الحية وقد مثلت مسرحياته في فرنســا وفي اوربا كمسرحية « الذئاب » ومسرحية « لعبة الحب والموت » ومسرحية « ١٤ تموز » حتى ان بيكاسو رسم مشهدا من مشاهد هذه المسرحية الاخيرة . وقد عرضت رواياته الملحمية وغير الملحمية على الشاشة البيضاء في افـلام : (جـان كريستوف ــ النفس المسحورة ــ بيير ولويزة) وقد وضع موسيقي روسي اوبرا لرواية « كولا برينيون » .

لقد كان رومان رولان في سيرته علـى جانب كبير من النبل والسـمو والعظمة ، وكان الانسجام رائعا بـين افكاره وحياته اليومية . وكان التطابق بين اقواله وافعاله كأحسن ما يكون التطابق روعة ودقة . فهو روح انسـانية مسالمة ونضال لا يعرف اليأس ولا الختام وارادة مخلصة لخلق نفوس ابية وحرة .

ولنستمع بخشـوع الى صوتـة العذب يحدثنا من وراء القبر عن ايمانـه العميـق بالحقيقـة وحبه الجـم للانسـانية : « من أتاجي برمته ومن حياتي باسرها لتبثق شريعة اخلاقية ، شريعة الادراك والعمل ، شريعة باطنية وشريعة عملية : ــ شريعة الحقيقة على الانسان ان يكون صادقا مع نفسه . عليه الا يقول او يكتب كلمة زائـدة او ناقصة عما يعتقده هو الحق ، وهناك شريعة ثانيـة ، بذلت كل ما في طوقي لادمـغ انتاجي بها .. الا وهـي شريعة العطف (بالمعنى الصحيح) ان تتألم من المتألمين ، شريعة الحب الانساني » (٩) .

ولقد شارك في قضايا عصره واحداث زمانه وكان ابعد كتاب العصر ومفكريه عن الابراج العاجية ، فكـان ملتزما الى اقصى حدود الالتزام قبل ان يأتي الى الحياة دعاة الالتزام ! ودعا طوال حياته وفي كل مؤلفاته الـى الاخوة الانسانية والتضحيةالبطولية من اجل القيم الرفيعة والمثل العليا ، وصار بحق رجلا عظيما في مصاف العظماء الذين كتب هو عنهم كـ « بتهوفـن » و « تولسـتوي » و « غانـدي » .

فيما يلي طائفة من اقوال رومان رولان ، لم يسبق نشرها اخترناها لعلها تلقي أضواء على جوانب شخصيته الفذة ومؤلفاته الكثيرة .

ــ ان الصاعقة تسقط انى تشاء وحينما تريد . ولكـن القمم تجرها اليها . وبعض الامكنة ــ وبعض النفوس هي اعشاش للعواصف .

ــ شعور الانسان بانه متجنب للناس لا يعني ذلـك ان يظل عاطلا مكتوف اليدين .

ــ لكل وظيفته . فللجيوش حراسـة أرض الوطـن . ولرجال الفكر الدفاع عن الفكر .

ــ لا اعرف شيئا يسمى مطلقا . اذ ان كل شيء حركـة في الوجدان النزيه المستقيم .

ــ ان التفكير بسلامة نية واخلاص هو بحد ذاته لصالـح الجميع حتى لو كان موجها ضد الجميع .

ــ ليس صحيحا ا نالغاية تبرر الوسائل ، فان الوسائـل بنفسها اكثر اهمية في سبيل التقدم الصحيح من الغاية .

ــ ان اشد آلام الحياة هو ان يشعر الانسان بالوحشـة وسط الجمع الحاشد الذي يحيط به من كل الجهات .

ــ اما المؤرخ في شخصي فليس هناك من سبيل للعواطف والمخاوف الى اسراره . فان هذا المؤرخ يلاحظ ويحقـق ويدقق ويابى الحكم قبل أ نتتوافر بين يديه كافة البينات والوثائق المطلوبـة .

ــ اذا اردت قول الحقيقة عن الطريقة التي اسلكها فـي العمل ، فانني اصرح ان حالتي النفسـية هي على الدوام حالة موسيقار ، لا حالة رسام .

ــ ان لغتي الحقيقية هي الموسيقى .. فالموسيقى هي التي حملت مني مواطنا عالميا . وليـست روحي هي العالميـة وانما قلبي هو العالمي .

ــ في المجتمع المتطور تطورا واعيا منسجما ليس لكلمـة مثقف ان تعني طبقة متميزة على حدة .

ــ وانا كذلك اعاني من انعدام الاصدقاء ، فهـل تعتقدون انني لا افتش لنفسي عن اصدقاء ؟ ولكن هؤلاء الاصدقاء ان كانوا جديرين بي ، فهم انفسهم يشابهونني ، اي انهم يعانون ما يعانون من الالام في صمت ويسـكتون ، فليس بوسعهم ان يداجوا ويحابوا الناس ، شانهم كشاني ، فانا عاجز عن المداجاة والمحاباة . وعلى ذلك ، فينبغي اذن ان اجد وسيلة للتوجه الى النفوس المجهولة ، وهو الغرض الذي من اجله اكتب .. وهو الغرض الوحيد لحياتي .

ــ ان الذي يعرفني ، والذي قرأ ولو واحدا من كتبـي ، سيقول عن لهجتي ان كانت لهجة رجل « منفصل عـن العالم » او سيقول عني انني رجل قد مزقته آلام العالم

(١) مذكرات . (٢) لا يزال اغلبها مخطوطا . (٣) الترجمة للمرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد . (٤) شارك من العالم العربي المرحوم احمد ضيف . (٥) اعجب الاستاذ ميخائيل نعيمة بهذين المتصوفين « سبعـون ج ٢ » . (٦) نشرت منها يوميات (سنوات الحرب العالمية الاولـى) . (٧) نشر منها ستة عشر مجلدا . (٨) مراسلات رولان ــ غاندي مصـدرة بمقدمة لنهرو . (٩) الى أ. ر. كورتيوس ١٩٢٧ . (١٠) و (١١) مـن شخوص رئيسة في رواية « النفس المسحورة » .

فهو يكافح للتمليل من هذه الزوايا او للتخفيف من حدتها .

ـ ليست الشمس من المتمسكين بالاخلاق ولا من نبذة الاخلاق .

ـ ا ن فكر اوربا محتاج الى فكر آسيا ، كما ان لفكر آسيا فائدة بالاتكاء على الفكر الاوروبي .

ـ اما انا فقد وجدت نفسي امام هذه المشكلة الفنية .. كيف اعبر اكمل تعبير عن الاشياء الحقيقية التي تراود افكاري ، دون جرح شعور اولئك الذين لا يقوون على مواجهتها او اثارة هياجهم ؟ .

ـ ان حرية الفكر هي انفس كنز في الوجود .

ـ ان غلطة تولستوى الخطيرة (كما هي غلطة اخرين كثيرين) هي رغبته المفرطة في تبسيط وتوحيد الطبيعة البشرية .

ـ كل من حقيقي ، وكل فن عظيم هو فن ثوري .

ـ هل يتحتم ان يكون عظماء الرجال نماذجا للفن ؟ انهم نماذج للطاقة وشموس للقوة والجمال .

ـ انني لا أؤلف كتابا ادبيا وانما اكتب رسالة ايمان وعقيدة .

ـ فرنسا هي عبارة عن انسجام الاجناس ، والا فهي لا شيء . وان كلمة انسجام التي هي كلمة كريستوف المحتضر ، ستظل هي كلمتي على الدوام .

ـ فتش عن اجمل انسجام ، الانسجام الذي هو المسل الاسود لتنافر الالحان .

ـ ان ابناء جيلنا قد تعلموا التحليق . فاصبحت عيونهم كعيون الطيور بعيدة النظر .

ـ يحتاج الفكر الى مجالات واسعة .

ـ ان ابتهاجي وواجبي على الارض هما في ان افقه اعظم ما يمكن ان افقه من شؤون العالم وان اجاهد في الدفاع عن العقل النير والحفاظ عن أن تمسه يد اليمة .

ـ سارحل عن هذه الحياة ، دون ان اكون قد وقعت في فرنسا التي احبها على الصداقة التي كانت ضالتي المنشودة . لقد وجدت تلك الصداقة ولكن في موطن آخر ، في بقية انحاء العالم ولكنني كنت اود ان اعثر عليها في فرنسا .

ـ هل انكرت يوما على فرنسا روحها الحرة ، هذه الحديقة الغناء التي هي مزهرة ومثمرة منذ عشرة قرون متوالية ؟ هل جحدت روعة خريفها السرمدي وتذوقها المجيب للذكاء البشري وفن الحياة الذي برعت فيه ؟ هذا الفن الذي ينتقل من جيل الى جيل على هذه الارض الممتازة ؟

ـ لقد جعلت مني الطبيعة انسانا بعيد النظر . وهناك اخرون يرون خيرا مما ارى عن كثب . اما عيناي فمهيئتان للنظر من بعيد .

ـ ان خضمنا نحن القادمون من الشمال هو بحر متلاطم الامواج بالزوابع المائية التي تمر في اعالي الغابات . هذا المد وهذا الجزر للريح التي تهب في الليل . يا لهذا الارغن الذي يحتضن الارض !

ـ انني اعود الى حديقتي كما عاد كانديد الى حديقته . حديقتي التي لا حدود لها . وها انني انتهي من تنقية اعشابها من فكرة « الغريب » .

ـ ليس فكر الانسان المنزوي بمنزو مثله ابدا .

من جرمان الى آنت (١٠) :

آنت ، انني ماض حقيقة لا مجازا . انني من طائفة روحية لا مكان لها بعد اليوم في النظام الجديد المقبل . طائفة مجردة من اوهام المستقبل ، كما هي مجردة من اوهام الماضي . لقد ادركت كل شيء ، فانني لم اعد اصدق شيئا . وهذا الادراك المفرط قد قتل في نفسي تذوق طعم العمل .

لقد نقل جرمان رسالته الى آنت وكانها آخر كلمة في وصية ميت .. « قولي له باسمي الا يكتفي بان يفقه كل شيء مثلي ، وان يحب كل شيء مثلك .. فليحكم رايه وليختر .. جميل ان يكون المرء منصفا ولكن الانصاف الحقيقي لا يظل جالسا امام كفة ميزانه ، ناظرا تارجح الكفتين . على العدالة ان تحكم وان تنفذ قرار الحكم . »

بعيدا عن المواضعات الادبية والاجتماعية ، بعيدا عن السياسة وعن الندوات الفنية فقد حصلت ، عن طريق كتاباتي ، على الاستقلال المادي وهو حسبي لاعيش عيشة لا تتسم بالبذخ والترف ، ولكنها حياة على حدة « وهي اعظم البذخ واعلى درجات الترف » .

ان عواطف المحبة ونزوات البغضاء ، تذوب كلها في هدوء الطبيعة وسلامها ... وان صمت الاجواء اللانهائية ليحيط بالانفعالات البشرية فتتلاشى هذه الانفعالات في الطبيعة ، كما تغور الصخرة في الماء .

من انتاجي برمته ومن حياتي باسرها تنبثق شريعة اخلاقية ، شريعة الادراك والعمل ، شريعة باطنية وشريعة عملية : ـ شريعة الحقيقة . على الانسان ان يكون صادقا مع نفسه . عليه الا يقول او يكتب كلمة زائدة او ناقصة عما يعتقده هو الحق . وهناك شريعة ثانية ، بذلت كل ما في طوقي لادمغ انتاجي بها .. الا وهي شريعة النفاق (بالمعنى الصحيح) « ان تتالم مع المتالمين » شريعة الحب الانساني .

من آنت الى مارك :

بوسعي ان اتحمل كثيرا (١١) ، الخطايا السبع والرذائل وحتى القسوة . ولكن هناك شيئا واحدا لا سبيل الى غفرانه الا وهو النفاق . والتظاهر بعقيدة لا يعتقدها الانسان . والكذب على النفس وعلى الافكار والظهور بمظهر الايمان والاحتيال على الحق ، خير للانسان الا يولد من ان يكون رذيلا على هذه الشاكلة . ويوم اراك قد انحططت ، سانفضك عن نفسي نفضا كما انفض الوحل من حذائي . ومهما تكن وغدا ، فكن حقيقيا .. فانني افضل ان اكرهك على ان احتقرك .

بغداد — قنبر مجيد الطويل

متى يخرج الادب العربي من القمقم

بقلم حسني سيد لبيب

* * *

متى يخرج الادب العربي من القمقم ؟.. متى ينزع من جسمه رداء المحلية وينطلق في الافاق الرحيبة ؟!

انطلق هذا التساؤل على السنة الكثيرين وفتشوا من الاسباب ، وتعددت وجهات نظرهم . وهذا التساؤل يجدر بنا ان نسأل : هل ادبنا ذاته ادب اقليمي؟

ثمة خطأ نتردى فيه عن غير قصد حين نضع تعريفين لمعنى واحد . فهل هناك حقيقة ادب اقليمي وآخر عالمي ؟. في تصوري ان الادب الحقيقي لا ينزع ابدا الى الاقليمية ان الادب تعبير عن الحياة، وهو يخاطب الانسان بلغة واحدة هي الوجدان . ولقد تعاطفت — على سبيل المثال — مع توماس هاردي في رائعته «نافخ البوق» وتعايشت مع شخصياته في واقعها البسيط الذي قد يتراءى للذهن خاليا من المعالجة الفنية ، مما يدفعنا الى الزعم بانه يحاكي الحياة بواقعها ويضع القضاء والقدر عنوانا بارزا لفصول روايته . لكنه على عكس ذلك ، فقد اكتسب روايته حيويتها واهميتها من هذا الواقع البسيط الغير مشحون بالانفعالات والعواطف المتأججة ، لكن قارىء هاردي تتولد لديه احاسيس شتى ويجد نفسه مشحونا بطاقات انفعالية لاحد لها ، ويصير انسانا جديدا يود لو يفعل شيئا لهذا الواقع العجيب . كما استطاع كازنتزاكي ان يجسد لنا شخصية زوربا الغريبة ، فزوربا انسان بدائي لا يتعاطف مع تيارات العصر ومفاهيمه ووضعياته وانما يبتني عالمه الخاص من تبسطه في الحياة ولا مبالاته لما يجري حوله . انه انسان يعيش الحياة البسيطة ، ولا يتعلق بالمطلق اويعرن فكره على تصعيد الجزئيات البسيطة ويعطي لها مفهوما عاما كالحب والسعادة والصداقة ..

لا شك ان القارىء العربي تعايش مع هاردي الانجليزي وكازنتزاكي اليوناني في ادبهما . واحس من خلال كتاباتهما انهما يعالجان مشكلته . فالادب لا يخص وطنا او تحده حدود ، وانما هو تعبير عن الانسان ايا كان موطنه بلغة واحدة لا تختلف . اما ما اصطلح البعض على تسميته ادبا اقليميا ، فاجدر بنا ان نخرجه من حظيرة الادب . فالادب لا وطن له ولا يصح — في ضوء هذا المفهوم — ان نصنفه في صنفين نجعل احدهما عالميا والاخر اقليميا ، ثم نبحث فيما يجب ان نفعل حتى يصبح ادبنا عالميا . اننا بذلك نعطي مفهوما ساذجا لاصالة مكرنا ذاته فالادب انساني بالدرجة الاولى - ولا يمكن ابدا ان يكون هناك ادب عربي يخاطب الانسان العربي دون سواه من سائر البشر .

وما دمنا قد اتفقنا على ان هناك ادبا واحدا يستطيع ان يقراه اي انسان ، فما هي السمة التي يتميز بها الادب العربي ما لم يكن عربيا ؟ — ويجدر بنا الا ننسى ان اي ادب لا بد وان ينتمي الى رقعة من الارض تحدد معالمه — ومعالم الادب العربي تتحدد على ارض الواقع العربي ، حيث يعالج مشاكل الانسان العربي وقضاياه . لكن بعض ادبائنا يتطرفون في هذه المعالجة فينقلب ادبنا الى نوع من الكتابات الدعائية او قل العنصرية .

حقا ، على الادب العربي أن يعبر عن هموم الانسان العربي ويدافع عنه وعن وجوده ولكن بنظرة انسانية لا تتطرف الى ادق التفاصيل او تغرق في التصريح المباشر ، أو تجهض الرؤية الفنية بشعارات قومية . ان الرؤية الشاملة لمشاكل الانسان والنظرة الانسانية للحياة هما اللذان يخلقان الادب الحي الذي لا يتحدد بوقت كتابته ، ولا بارضه العربية ، وانما يتمرد على قيود الزمان والمكان ، ويصير ادبا انسانيا يخلد على مدى العصور ويتعاطف معه الناس جميعا في كل زمان ومكان.

وقد تكون فئة المنتفعين الذين يطمعون في المناصب الهامة احد العوامل في قصور ادبنا في مجاله الانساني ، فهي تكتب دفاعا عن قضية او شعار ارضاء لذوي النفوذ وتطبيلا لاعمالهم . ان فئة المنتفعين لا تخلص لقضية الانسان العالمية وانما ترفع شعارات حماسية وتجهض مكرنا بكتابات عقيمة حول قضايا لاتهم احدا سوى كتابها، ولا ينفعل معها القارىء العربي ، وهو المتلقي الاول لهذا الادب .

على ان ادبنا المعاصر ليس قاتما الى هذا الحد ، فهناك صور مضيئة يحق أن نفخر بها ، لكنها تعيش في الظل حيث تواريها عبارات المجاملة والتحايا التي تطفحها الاقلام في سخاء على صفحات الجرائد والمجلات .

لكن المشكلة تتعدى هذا بكثير ، والاقلام النفعية ليست عاملا رئيسيا في قبر الادب العربي وحبسه في قمقمه الرهيب .

لا مشاحة في ان هناك أدبا عربيا له قيمته الفنية التي تجعله جديرا بالقراءة . وهناك اسماء لامعة في فكرنا العربي لا يمكن ان نطمسها باحكام ارتجالية تدعي ان هناك فقر دم يسري في اوصال ادبنا الحديثة . ان الادب العربي موجود ، لكننا منصرفون عنه غير جادين في تقييمه . ونستطيع بقليل من الاخلاص ان نكتشف هذا الادب ونبرز اصالته والاخلاص لا يتأتى الا بوأد الانانية التي يتفشى ميكروبها في اوصال امتنا ، او ما اسماه فاروق خورشيد بداء حب الانتحار . . « ولعله من اهم الاسباب التي ضيقت دائرة ادبنا ، ذلك الداء هو

حب الانتحار ، الرغبة في ان ندمر كل عمل جميل نقوم به ، الرغبة في ان نضع العراقيل بأيدينا في طريقنا ، وان نزرع الشوك امامنا لتدمي اقدامنا » . (١)

ويرجع الى هذا التقصير في تقييم آدابنا السبب في مفهومنا الشائع عن انه ادب اقليمي ذلك اننا لا نتذوق آدابنا بقدر ما نهلل لبعضها ونقعد صامتين عن تحليلها وابراز النواحي الجمالية والقيم الانسانية التي تحتويها .

لا وجود لادب عربي اقليمي ، فلا اقليمية في الادب، وانما هناك ادب عربي لم نتذوقه . هناك ادب عربي لم يقرأ لا على الصعيد العالمي فحسب ، وانما على الصعيد العربي ذاته ، فالجماهير العربية مشغولة بلوازم حياتية صرفة ، او بواقع مادي عما نسميه ادبا . . . ان سعت الى مثل هذا الادب ، فعلى سبيل التسلية والترفيه . . وهو حكم عام اقصد به الغالبية العظمى منالقراء العرب.

ويبرز في هذا مدى الهوة التي تفصل بين الادب ومتذوقيه . وليس الادب مسئولا عن تلك الهوة ، وانما هي مشكلة جديرة بان يبحثها المسئولون ويناقشوها في ضوء ازمة الكتاب العربي وما يتعرض له من مشاكل . ولا يمكن للادب ان يكتب بطريقة تتلاءم مع قارئه المنصرف عن النواحي الجمالية ، فالمشكلة تخرج عن طوق الاديب الى جهد المسئولين اذا كان هناك من يقدر مسئولية الكلمة واماناتها . . . « وليس ذنب الادب العربي ان لا يقراه الناس ولا يعرفوه» (٢) .

اما على الصعيد العالمي ، فلا احسب ان باحثنا [illegible] او عمقا يصرفان القارىء الاجنبي عن تذوقه ، بينما هو يقرأ آدابا اخرى لا احسبها سبقت الادب العربي في الابداع الفني ، وانما تكمن العلة في اننا نكتفي بحدود وطننا ، ليس فقط في توزيع الكتاب العربي ، وانما في بعض كتاباتنا ايضا . ويبدو ان همومنا الخاصة تكاد تبتلع اهتماماتنا بقراءة ما وراء الحدود . ان التقوقع يضر ادبنا ضررا بالغا ، والانغلاق على انفسنا يشل مقدرتنا على الحركة .

ولعل مأساة ١٩٦٧ قد ابرزت بوضوح انزواءنا وتقوقعنا ، حقا نحن اصحاب حق ، ولكن « الساكت عن الحق شيطان اخرس » (٣) . . وعزلتنا لم تقتصر على العزلة الفكرية ، وانما تعدتها الى العزلة السياسية . احكمنا الرتاج على حدودنا ولم نفتح النوافذ نطل منها على عالمنا الرحيب . والى جانب ما نعانيه من انزواء وتقوقع ، كنا نسيل مداد اقلامنا في عبارات حماسية عن امل العودة الى فلسطين ، ونتغنى بالبيارات وذكريات الصبا ! . واعتقد ان السطحية والتفاهة ولجتا الى ادبنا بعد مأساة ١٩٤٨ ، فقد سخرنا الادب لخدمة القضية الفلسطينية ، وملأنا اشعارنا بنداء العودة ، وصورنا تصويرا آليا مباشرا مأساة اللاجئين دون معالجة فنية .

وقد تحولت نداءات العودة الى ما يشبه التنديد العنصري واسرفنا في الحديث عن امجاد الماضي وعن حملة مشاعل الحضارة العربية ، فما افدنا تراثنا العريق واصحابه ، ولا افدنا انفسنا . اننا لم نقرا تراثنا الادبي — في الغالب — قراءة صحيحة ، ونتج عن ذلك اننا لم نعطه قيمته الحقيقية . لم نخضع هذا التراث الى مفهومات جديدة تبعث فيه روح الحياة ، او تقرب به من روح العصر ومفاهيمه ، وانما تفشت الانتهازية في محاولاتنا ، وخرج منا من يتشكك في قيمة هذا التراث .

ويرجع الدكتور جلال الخياط السبب في ان ادبنا غير مقروء الى هذه التجزيئية في قراءتنا للقصيدة ، و « ان القراءة السريعة هي العلة التي جعلتنا بعيدين عن مصادر الابداع في ادبنا ، وان الانانية هي التي قادتنا الى التجزيئية ، ولا بد لنا في اي عمل فني جديد يهدف الى مستقبل رائع للشعر العربي من ان نعود الى جذور ادبنا القديم فنفهمها بصورة صحيحة وبوضوح تام والطريق طويلة تتطلب اناة وصبرا ومشقة » (٤) .

ان الاخلاص مولد فعلي لكل عمل رائع ، وما دمنا نعمل مخلصين لاجل كرامة امتنا واصالة فكرها ، فلا بد وان نخلص في واجباتنا . نتلمس موضع الجرح ونعالجه. نقبر ذواتنا اللاهية وندفع عن وطننا مكايد الاعداء التي ما ارادت لاجلنا سوى الجمود والعقم .

ان امة بلا ادب كجسد بلا روح ، وما لم نقدم للعالم ادبا انسانيا يرقى الى المستوى الفني الرفيع فكاننا لم نكن ، وكاننا غير جديرين بأن نكون احفاد من حملوا شعلة الحضارة .

واذا ضربنا امثلة على اهمية الانفتاح على العالم الخارجي ، نذكر الفنان توفيق الحكيم والدكتور طه حسين ، حيث كانت باريس هي الملهمة الاولى لادبهما .

فلنترجم ادبنا الى مختلف اللغات ، ولنتخلص من اجل ذلك بمبعدين عن كل منطق دعائي يضرنا اكثر مما يفيد . وان البساطة في التعبير مع الصدق هما الركيزتان لكل ادب خلاق .

فلنتحرك اذن . . نكتب ، ونفكر ، ونتعايش مع الاخرين ونتفاهم معهم . فهذه لغة العصر ، بغير تعقيد او مواربة .

وبخصوص ادبنا ، فلا نطلب منه اكثر من ان يكون ادبا انسانيا ، يتعايش معه القارىء . وينفعل به . وليس ينقص الجيد من نتاجنا الادبي كي يكون عالميا سوى ان نهتم بترجمته على نطاق واسع ، ونطرحه في الاسواق العالمية .

القاهرة — حسني سيد لبيب

(١) الاداب سبتمبر ١٩٦٥ — ص ١٠ . (٢) طه حسين : من حديث الشعر والنثر — ص ١٧٨ . (٣) هذه العبارة طالعتها مرارا في مقالات الاستاذ الجليل امين الخولي . (٤) الاداب — يونيو ١٩٦٧ — ص ١٣ .

وهبي الوفائي

لمحمد العدناني

هو استاذي الروحي ، والمربي العربي العملاق ، والاداري الحازم ، والانسان العظيم الذي رعاني بصحبته ، بعد ان غادرت فلسطين عام ١٩٤٨ ، عام النكبة الاولى ، وجئت الى حلب ، بلد الفقيد الكبير الذي لوفاه الله يوم الاربعاء ، في ١٩ رمضان ١٣٨٧ هـ ، الموافق في ٢٠ كانون الاول ١٩٦٧ ، في مدينته حلب عن عمر يناهز الثمانين .

لقد نعي الي الفقيد الجليل ، وانا في المدينة المنورة ، اجاور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وانتظر جواب رسالتي الاخيرة اليه ، فهالني النبأ الاليم ، فقلت :

★ ★ ★

لقــد لقنتني علم الوفـاء ... وآي النبل يا وهبي الوفائـي
ودرسا في الشهامة ليس ينسى ... عليـه اشدت في الدنيـا بنائي
وكيف اكون مثل اب لنـاس ... دمي عنهم برغم الـود نـاء
وليس لنا سوى الفصحى وشيج ... وليس سوى العروبة من لـواء
يظللنـا فننجو مـن لهيـب ... من الارزاء ، تنذر بالفنـاء
وقـد علمتني الـود المصفى ... يفوح شـذاه حتى في السماء
وزدت النفس في الجلى اباء ... ليضرب الورى مثلا اباشـي
ودربت الفؤاد علـى صعـود ... لاشتات المآســي والبـلاء
وخففت الاسـى لما جلونـا ... عن الارض الفريدة في الرخـاء
وقد خلفت في القدس الاماني ... وما فيها الحياة سوى ذمـاء
واهلـي شردوا في كل قطـر ... وفي المهجات انيـاب الشقـاء
فضمدت الجراح ، جراح قلبي ... وفي كفيـك اكسير العـزاء
وانستني ابتسامتك الـدواهي ... يؤجج حقدهـا لهـب العـداء
وكنت لي الاب البـر المرجى ... غـداة اتيت منبت الرجـاء
وكان القلب يسبـح في ظـلام ... فاضحى منك يسبح في ضياء
وقد بات التقى يحدو خطـاه ... ويخشع في الصلاة وفي الدعاء
وما للحقـد من سبيل اليه ... ويأبى ان يميـل الى الجفـاء
ولم ينكب وحيد الصدر بغض ... لكـي يقضـي عليه في الخفاء
فمـا فيه لاهل الارض طـرا ... ـ وان جاروا ـ سوى حاء وباء
فاين اليوم انت ، وكيف غاضت ... ينابيـع المحبـة والوفـاء
وكيف يعـد طود يصرعـني ... يطول المزن ، بالـداء العيـاء
ومن لي في الخطوب الكثر حمرا ... وقد عكرن بعـدك لي صفائـي
بلينـا فـي حزيـران بشر ... نسينـا فيـه ايـار الجـلاء
جهنمه اشابـت هـام قومـي ... والـوت بالامانـي الوضـاء
وبات ينالنا بالخـزي جمـرا ... فم التاريخ مكشـوف الغطـاء
لقد املى عليـه العرب قبـلا ... مفاخر في الحروب بـلا عنـاء
وسـطر خالـد ايـات نصر ... فريدة في الصباح ، وفي المساء
فاين ترى اسود العرب راحوا ؟ ... واين العزم فذا في الهيجـاء
وايـن اباؤنـا يطا الثريـا ... وفوق الراس تـاج الكبريـاء
واين الثار ناخـذه غـلابـا ... ولو خضنا بحارا مـن دمـاء
واين الموت نرديـه عتيـا ... ولـم نعبا بسلطـان الفنـاء
واين المجـد تكتبـه زنـود ... على صفحات تاريـخ الفـداء
واين العـزة الشمـاء لمـا ... تجد غير الكواكب من حـذاء

وأين حميه بالامس كانت   تنيف على المجره في العلاء
وأين ابن الوليد يكر ليثا   على الاعداء مرفوع اللواء
وأين صلاحنا ، والقدس باتت   بايدي عابثين بلا حياء
وأين فتى الدهاء البكر عمرو   ليرجع ما خسرنا بالدهاء
واين ، واين ما يلقي علينا   لسان الدهر من درر الثناء
اكاد أجن مما قد دهانا   وليس لياس نفسي من دواء
افتش بين قومي عن عزاء   فلا القى تباشير العزاء
فيا ليت الردى يجتاح روحي   لانجو من آفانين الشقاء
فحسبي ما ختمت به حياتي   من الخزي المغشى بالهراء
فمن امسى ظلام النفس قبرا   له ، هيهات يحفل بالبقاء
ومن خسر المنى ، حسبوه ميتا   ولو نزع الفؤاد الى الحداء
فليس يرى الفخار المرء حيا   اذا هو لم يحصن بالاباء
وحقك امتي ما خنت عهدي   ولا حاد الفؤاد عن الولاء
وما زلت ابنك النجد المرجى   لبذل الروح في يوم الفداء
لقد عربدت حين رأيت قومي   قد اعتزلوا القصور الى العراء
ولم تطحن عدوهم رحاهم   وهم اسد الحروب بلا امتراء
فقد شادوا عرائنهم ، وناموا   وما حسبوا حسابا للجراء
متى صحت الليوث ارتج غاب   من التزآر يقصف في الفضاء
وهرولت الكلاب بلا نباح   لتبحث عن مكان لاختباء
غدا قومي اذا ابتداوا وغاهم   فقل صار اليهود الى انتهاء
نلاحقهم بجيش يعربي   ولن يجدوا سبيلا للنجاء
ومن لم تلقه في البحر منهم   سيغرق في بحار من دماء
ابا عدنان ! عفوك طاش لبي   وتاه الشعر عن سنن الرثاء
وراح يفور في صدري جحيما   بها ضنيت ضلوعي باكتواء
لقد جمح القريض ، فلا شكيم   ترد جماحه بعد استياء
اما علمتني قذف القوافي   صواعقهن من كبد السماء
فرحت اصبهن اليوم وبلا   كاني من همومي في شتاء
فكيف تطيق نفس الحر صبرا   اذا منيت بطفح في الاناء
ابا الاشبال قد يتمت روحي   غداة افلت يا قمر الاخاء
سافقد بعد بينك يا وفائي   اهازيج المروءة والبهاء
وافياء المنى ، والدهر ذئب   بغيض لا يكف عن العواء
وافقد روض احلامي ، وتناى   بي الدنيا الرهيبة عن حراثي
وابحث عن نجاة من همومي   فلا القى سوى نذر العفاء
وانشد في الورى طرا وفاء   فلا القى سوى اسم الوفاء
وكنت به تغذي امس نفسي   فباتت منذ غبت بلا غذاء
لقد لقنتني صبرا جميلا   على الارزاء فضفاض الرداء
ساصبر ، والفؤاد يسيل دمعا   وان ناءت الجفون عن البكاء
وفي دنياك لم تك غير روح   موحدة ، على رغم الثنائي
وهذي روحنا سلها ، تجدها   تحوم في جنانك ، والجواء
وتهفو في النعيم اليك حتى   تهب شذا عليك مع الهواء
تذكرك العهود ، عهود قلبي   وما بين المشاعر من اخاء
وما خفق الفؤاد سوى نداء   فاصغ ابا الوفاء الى النداء
وفي الغد نحو ربي سوف اسعى   لالقى عنده خير الجزاء

المدينة المنورة   محمد العدناني

رغم العتمة التي تغرق الخندق .. وتعسر الرؤية على امتداده .. لا يكف افراد نوبة الحراسة عن الثرثرة .. بأصوات مهموسة يتقاذفون النوادر والنكات .. يتلقف الواحد منهم ما يتفوه به الاخر .. ويسارع بالتعليق عليه ، وهو في مكانه لا يبرحـــه ، ودون ان يرى ذلك الاخر ، فجميعهم يلوحون كالاشباح ، والصوت وحده هو الذي ينبيء عن مكان صاحبه من الخندق ، ويدل على هويته .

واحد فقط .. منذ بدأت نوبـة الحراسة اثر غــروب الشمس .. وهو بمعزل عنهم .. لا يسمع اليهم .. ولا يشارك في ثرثرتهم .. ذلك هو فهمي .. ويلحظ طاهر ذلك ، اذ لا يفصل بينهما في الخندق غير انكسار واحد .. وفي التو ، يرسل صوته اليه ، سائلا في تودد :

ــ ما لك يا فهمي .. ماذا يشغلك ؟

بعد برهة يرد فهمي في خفوت :

ــ لا شيء ..

يهتف طاهر غير مصدق :

ــ كيف ؟ .. لست اليوم كعادتك .. منذ الصباح وانت مستغرق في الصمت والشرود ..

ينطلق صوت من قرب مستفسرا :

ــ من تكلم يا طاهر ؟ ..

يستطرد مستغربا :

ــ يا للخبر .. تصوروا ان فهمي لم يشاركنا الكلام .. تعالوا نعرف لماذا ينصرف عنا ؟..

صوت اخر يردد :

ــ دعه وشأنه .. لا تضايقه ..

صاحب الصوت الاول يعقب :

ــ وهل هذا يضايقه ؟ .. ربما يكون هناك ما يشغل بالـه فنخفف عنه .. هيا ..

الساهرون في الخندق يزايلون اماكنهم .. ويتجهـون الى حيث يتمركز فهمي .. قبل ان يبادره احدهم بكلمة .. يصيح صــوت بحدة ، وان بدا اكثر خفوتا من بقية الاصوات :

ــ عودوا الى اماكنكم .. فوزي .. كف عن هذرك والزم موقعك ..

حركة ارتداد سريعة .. تتمدم بعدها الاصوات على طـول الخندق لفترة قصيرة ..

يدير فهمي رأسه تجاه طاهــر ، الواقف على مقربة منه .. ويسأله بصوت يخرج من اعماقه غائمـــا بشروده واساه :

ــ هل سنبقى ننتظر ان يبدأوا هم باطلاق النار علينا ؟ .. يلتفت طاهر اليه متسائلا :

ــ وماذا تريدنا ان نفعل ؟ .. هل هذا ما كان يشغلك ؟ .

ــ لماذا لا نبدأ نحن ؟ .. اليسوا في ارضنا ؟ ..

ــ انسيت اننا مجرد نقطة حراسة ؟

الباحث عن بطولة

بقلم اسماعيل علي اسماعيل

احمد الله انهم لا يقصفوننا بمدافعهم

فهمي مستنكرا : انـت تقـول هــذا ؟! ..

ــ وهل عندي غيره كي اقولـه ؟ انها الحقيقة ..

شبح فارع الطول .. ينحدر من ناحية اليمين .. مقتربا من شبحي فهمي وطاهر .. يبلغ سمعه طرفا من الحوار .. فيبادرهما :

ــ اي حقيقة ؟ ..

يجيب طاهر في غير تهكم :

ــ يريدنا ان نكون البادئين باطلاق النـــار ..

فهمي بحنــق :

ــ ليس معهم غير مدفـع ميدان ثقيل .. ويمكن ان نحطمـــه .. وعندها لا يساوون شيئا ..

يتمتم الوافد الجديد بهدوء :

ــ ثمة قرار بوقف اطلاق النـــار التزمنا به ..

طاهر بصوت تشوبه نبرة ضيق:

ــ وحتى لو لم يكن ثمة قرار .. فكيف نحطم مدفعهم الثقيل وليس لدينا غير اسلحة كلها خفيفة ..

فهمي محتدا : ــ بعملية فدائية .

يتدخل الوافد الجديد معلقا بصوته الهادىء :

ــ وحتى هذه غير ممكنـــة .. فنحن جنود نلتزم بنظام واوامر ..

ينصرف فهمي عــن محاوريـــه .. يهرب الى صمته .. يقضم افكاره .. لا القتال ممكن .. ولا العمليات الفدائية .. فما الممكـــن اذن ؟ .. منذ انحسر مد المعركة .. وهو يمضي اكثر ساعات النهار والليل .. خلف ساتر الرمال القائم علــى حافــة الخندق المواجهة للعدو .. ولا شيء يفعله .. فقط .. يرقب وينتظـــر .. فالى متى يبقى هكذا ؟ .. واذا كان عليه ان ينتظر اكثر فما ذنبهـا هي ؟ ..

ــ لن اضيق بانتظارك .. فيكفي اني سأتوج حياتي بعده بالزفـــاف الى بطل .. بطل ! .. ما زال يذكر كيف تندى جبينه عرقـا .. وغص حلقه بالمرارة .. حين لطمت هــذه الكلمة اذنيه .. كان يعرف انها تود لو حقق بطولة يغسل بهـــا عــار انعزاله وانطوائه كل السنين التـي انقضت من عمره ..وكان على يقين انه غير قادر على تحقيق البطولـــة التي تريدها .. فهو يخاف مـرأى الدم .. ويفزع من الموت .. لـــم يشترك في مظاهرة خلال دراستــه الثانوية .. ولم يسمح لنفسه ولـو لمرة واحدة ان يشهد خناقـــة ..

وايام العدوان الثلاثي رغم الحماس الذي دعمه .. لم يقبل التطوع للقتال مثلما فعل ابناء الحسيني .. وبعض رفاقه في المصلحة .. زاعما لنفسه ان الجيش المنظم خير من العمليات الفدائية المتهورة .. وحين جند بالجيش بعد العدوان .. حمد الله ان مرت فترة تجنيده بسلام .. فكيف يقدر ان يصنع في فترة الاحتياط ما لم يصنعه قبلها ؟..

ـ اني واثقة انك ستصنع الكثير

متى ؟ .. في البدء ارتفع مد المعركة فجاة حتى صار كالطوفان .. واصابه ذهول .. فلم يدر ماذا يصنع ؟ .. ومضى يتخبط مشدوها في بحر الدماء الذي صنعه العدو اللئيم من دماء رفاقه .. وحين هدأ الطوفان .. وسكن هياجه .. وجد نفسه نزيل هذا الخندق .. حقيقة هو لم يعد يخاف مرأى الدم بعدما تمرغ فيه مرغما .. ولا يفزع من الموت بعدما حوم حوله لساعات طويلة .. لكن ما الفائدة ؟ .. العدو لا يريد ان يقصف نقطة تمركزهم مثلما يفعل في جبهات القتال الاخرى .. حتى ينتهزها فرصة فيتخفف من هذا الجمود القسري .. ويطلق التحفز المختنق في صدره .. ورفاقه هم الاخرون يصرون على الالتزام بقرار وقف اطلاق النار .. حتى التسلل الى مواقع العدو بهدف التخريب والتدمير .. لا يريدونه .. فماذا يصنع ؟ .. هل يقوم وحده بعمليات التسلل ؟ .. وهل ينجح في اتمامها دون عون من رفاقه ؟..

ويفوق فهمي من شروده على صوت يعلنه بانتهاء نوبة حراسته .. فيخلي مكانه .. ويتجه في خطى ثقيلة الى حيث يغفو بضع ساعات .. قبل ان تحين نوبة حراسته الثانية .

عند الفجر ، كان موعد فهمي مع نوبة حراسته الثانية ، وقد اشرقت الشمس ، وهو على غير ما اعتاد ، لا يقف في مكانه من الخندق خلف مدفعه .. فقد اعتاد ان يصحو قبيل الفجر، دون انيوقظه احد، فيتسلم نوبة حراسته ، ويظل في وقفته خلف مدفعه ، الى ان يشهد طلوع الشمس ..

وهو كعادته ، صحا وخيوط الفجر تنبعث في الافق .. تماما مثلما يصحو كل ليلة ، دون ان يوقظه احد .. ووقف في موقعه من الخندق خلف مدفعه .. وراح يتابع بشغف واهتمام ما اعتاد ان يتابعه .. عراك الفجر مع الفلول الباقية من الليل .

ورآه طاهر على حاله تلك ، واراد ان يمازحه ، فبادره ضاحكا :

ـ يبدو انها مباراة مثيرة .. من الفائز حتىالان ؟ .. الليل ام الفجر؟

لم يظفر طاهر منهبجواب او حتى التفاتة ، فاردف يقول في عصبية :

ـ لا تظن انك ستصنع بعزلتك وصمتك المعجزات .. فقط سوف تزداد هما على هم ..

بقي فهمي على جموده برهة ، ثم ادار وجهه ناحية طاهر ، وقال بصوت حمله دون قصد حيرته وقلقه :

ـ كيف يتاح لخيوط الفجر الرقيقة ان تزيح كل هذه الاطنان من الظلمة وتخلص الافق منها ؟ ..

اسرع طاهر قائلا وهو يتصنع المزاح مرة ثانية :

ـ بعملية فدائية ..

ضاق فهمي برد طاهر ، فاشاح عنه ، ورجع الى صمته وحملقته في الفضاء .

عندما بدا الفراغ المعتم يغتسل بضياء الفجر .. أخذ الخندق يتكشف .. ويلوح وسط الخلاء الواسع .. مثل نهر متعرج .. لا يدل عليه غير ساتر الرمال القائم على حافته المواجهة للعدو .. واضطراب جوفه بحركة المتمركزين فيه ..

وفي تلك اللحظه .. انطلقت قذيفة من جانب العدو .. لتسقط غير بعيد من الخندق .. محدثة دويا هائلا .. ومصعدة زوبعة من الغبار .. تتلوى في جوفها عشرات الالسنة من اللهب ..

لم يتوان افراد نقطة الحراسة المتمركزين في الخندق .. هبوا جميعا ، وانتظموا خلف مدافعهم .. وعند سماعهم الامر باطلاق النار .. جعلوا يردون على قذائف العدو التي توالت في جنون وهوس .

بعد لحظات ، اكتشف طاهر وهو في مكمنه خلف مدفعه ، ان فهمي قفز من الخندق ، وطفق يزحف صوب مواقع العدو ، فصاح به :

ـ فهمي .. هل جننت ؟ .. الى اين انت ذاهب ؟ ..

قبل ان يرد فهمي ، ترامى صوت اخر آمرا في قسوة :

ـ ارجع مكانك يا فهمي ..

كان فهمي لا يزال على مقربة من الخندق ، وبلغ سمعه رغم هدير القنابل ودمدمة المدافع ، صوت طاهر والصوت الاخر ، فتوقف عن الزحف ، واستدار الى الخلف ، وهو ما انفك منبطحا على الارض .. وهتف بصوت مرتفع : ،

ـ استمروا في اطلاقالنار لتحموا تقدمي .. وسوف اسكت لكم مدفعهم الثقيل ..

وعاد يزحف تجاه مراكز العدو .. ولاحقته أصوات تحذر من التقدم وسط حقل الالغام ، لكنه لم يأبه لها .. واستمر في الزحف، وهو يقبض على مدفعه الرشاش في تصميم وعناد ، وظهره ينوء بحقيبة مهماته التي عبأها ببعض المتفجرات والقنابل اليدوية ..

ولم تمر فترة غير قصيرة .. لايتوقف القصف خلالها بين الجانبين ثم يدوي انفجار مروع في جانب العدو ، فيدرك افراد نقطة الحراسة انه في مخزن ذخيرته .. وفي اثره يتوقف العدو عن القصف ، فيمسك

الشعلة الضائعة

انـا يا حبيبي سالت الحيـاه   عـن النور عـن شطة باقيـه
عن الحب امـــا تولـى صداه   عن الـدرب اما بدت خاليـه
وعمـري امـا طـواه المسير   غـدا وشقيـت باوهاميـه
عن‌الدمع، والشوق يكوي‌الحنايا   عن السر في الهمسة الحانيـه
عن الذكريـــات تثير حنيني   فتابى علـى الغسل اعطافيـه
عـن الكبريـاء تشـل قـواي   فتخبو لديهـا لظى خافيـه

اجل يـا حبيبي سلكت طريقي   بكـــل تفجـــر اعماقيـــه
بكـل نداءات عمـري ، بكـل   تلهف نفســي ، باحلاميـه
فكـان الظلام يمـد ظلامـــا   وتهـــوي باعماقــه ذاتيـــه

دمشق   سلافة العامري

افراد نقطة الحراسة هم الاخرون عن قصفـه .

سارع السكون يندس بين افراد نقطة الحراسة .. وفي حين انشغل نفر منهم بجريحهم الوحيد ، انجذب الاخرون الى التطلع شطر مواقـــع العدو .. يرمقون النار التي تشتعل في بعض منها ويفتشون عن فهمي .

ووقعت عينا طاهر علـــى شبح يزحف مقتربا من الخندق ، فارتفع صوته محذرا :

ــ ثمة شبح يزحف نحونا ..

ثم استرسل متسائلا : ايكون هو فهمي ؟ ..

لم يعقب واحد بكلمة .. طـارت عيونهم تحوم حول الشبح .. ترقب زحفه وتتفحصه .. وبعد دقائـــق هلل صوت في فرح غامر : هـــو فهمـــي ..

اشرقت الوجوه السمر على الفور ببسمات عريضة .. ووحملقت البهجه في العيون .. وانطلقـــت اصوات عديدة .. تحث فهمي ان يضاعف من زحفه .. فالكل فـــي لهف الى عناقه وتقبيله ..

بغتة .. دوى انفجار على مسيرة قليلة من الخندق .. وحجبـــت سحابة الغبار التي صنعها الانفجار شبح فهمي .. ومرت لحظات مشحونة بالحيرة والفـــزع .. ثم تدافـــع المتمركزون في الخندق الى حيـث انفجر اللغم . واذا فهمي ملقى على ظهره .. عيناه‌مفتوحتان، وقدتكفن السواد فيهما بالبيـاض ، فتوارت منهما نظرة التطلع التـــي لم تكـن تزايلهما .. وشفتاه مزمومتـــان ، ليس على تصميم وعزم ، وانما على شحوب وذبول ، وظل ابتسامة لم تكتمل .. ودمه القاني الذي تفجـر من جسده ، واختلط بالرمل مـــن حوله ، يضم قبضة منه بين اصابع يسراه . بينما يمناه تقبض على شيء لم ينتبه اليه احد بعد ، وتستقـر به فوق صدره ..

وتسمروا حوله .. وانعكســـت ظلال المأساة على وجوههم صمتـــا وذهولا .. ثم مالوا عليه يمسحون الغبار عن وجهه ، ويقلبونه فـــي رفق .. وسقطت يمناه من فـــوق صدره ، فبان ما كانت تخبئه بـين اصابعها .. سلسلة معدنية من تلك السلاسل التي يعلقها جنود العـدو حول رقابهم ، تحمل اسماءهـــم .. والتقط طاهر السلسلة .. ومضى يتاملها وهو يتمتم :

ــ لا بد انها لواحد مـــن افراد طاقم المدفع الذين مزقهم الانفجـار .. عاد بها لتكون تذكارا ودليلا ..

ونهض طاهر واقفا ، وهو يـدس السلسلة في جيب سترته .. ولبث برهة تائها ببصره في الخلاء الـذي انداحت منـه الظلمـة ، ثم غمغـم والدموع تتجمع في عينيه : هيـــا نحمله من هنا ..

وانحنوا جميعا يشتركون فـــي حمله .. ودموعهم تسيل في صمت .. وكانت خيوط الفجر قد تلاشت، بعد ان مهدت لبزوغ يوم جديد .. ثم اشرقت الشمس .. باهـــرة الضياء كعادتها .. رفيقة الـدفء كعهدها عند شروقها .. ولم يكـــن فهمي كما اعتاد .. منتصبا فـــي موقعه من‌الخندق .. ولا كان المدفع الثقيل في جانب العدو .. رابضـــا وفي فوهته الموت ..

كان فهمي محمولا فوق سواعـد رفاقه .. وهم يمشون به تجـــاه حفرة صغيرة .. حفروها له فـــي ارضه .. بعيدا عن حقل الالغام .. وكان المدفع‌الثقيل في الجانب الاخر .. حطاما ينتظر الصدأ .. ومـــن حوله افراد طاقمه .. اشلاء ممزقة .. يترصدهم العفن ..

القاهرة   اسماعيل علي اسماعيل

حديث المفتي

تاليف احمد ابن سودة ـ جمعه ونشره وقدم لكل حديث حسن احمد المصمودي ـ ٢٨٦ صفحة ـ طبع في تطوان بالمغرب

بين يدي كتاب من طراز فريد ، جمعه ونشره وقدم له السيد حسن احمد المصمودي . والكتاب من اخراج المطابع المغربية وقد طويت دفتاه الانيقتان ، على ما يقارب ٣٠٠ صفحة ،احتوت على ٢٧٨ حديثا تحت عنوان جذاب هو « حديث المفتي » من تاليف الاديب العالم الاستاذ احمد ابن سودة ، السفير الحالي للمملكة المغربية بلبنان . وهذه الاحاديث التي جمعت اليوم في كتاب مستقل ، كان الاستاذ ابن سودة قد نشرها تباعا في جريدة « الرأي العام » الناطقة بلسان « حزب الشورى والاستقلال » في الدار البيضاء ، والحماية الفرنسية جاثمة بكلكها الفادح على تلك البلاد الشقيقة ، قبل ان يحررها الشعب المغربي بقيادة الملك المجاهد المغفور له محمد الخامس .

المؤلف : هو الاستاذ احمد بن يحيى ابن سودة المولود بفاس متحدرا من اسرة اندلسية عريقة عرفت بالعلم والفضل والسابقة في الجهاد والوطنية . وقد نبغ من هذه الاسرة العديد من العلماء والكبراء سواء في الاندلس او في المغرب يمكن الرجوع الى طبقاتهم في الكتاب الموسوم : ب « الروضة المقصودة في مناقب بني سودة » للعلامة السيد عبد العزيز العلوان . اما مؤلف الكتاب الاستاذ ابن سودة ، فانه قد طلب العلم في مسجد عائلته ثم تقلب في عدد من المدارس الحرة الى ان تخرج اخيرا من المعهد الاسلامي الكبير جامع القرويين ، اقدم جامعة اسلامية معروفة حتى الان .

والاستاذ ابن سودة يعتبر من اوائل الرجال العاملين من اجل استقلال المغرب وقد ناله من اجل ذلك عنت كبير ولم يخل من الاعتقال والتشريد اكثر من مرة فلما ان كلل الله جهاد بلاده بالحرية والاستقلال شملته عناية جلالة الملك الحسن الثاني الذي اسند اليه مهمات رئيسية في الادارة الحكومية كان آخرها قبل سفارته بلبنان منصب مدير الاذاعة والتلفزيون .

الكتاب : ان عنوان الكتاب الذي نتحدث عنه هو «حديث المفتي» وهو نفس العنوان الذي اختاره المؤلف يوم كان ينشر احاديثه التوجيهية في جريدة « الرأي العام » المغربية . دون ان يفصح عن اسمه الحقيقي ، ذلك ان العاملين في الحقل الوطني في ظل الحماية الفرنسية ، كانوا مضطرين للابتعاد عن الاضواء التي تكشفهم لئلا يقعوا تحت يد السلطات الاستعمارية التي كانت اجهزتها ، من سرية وعلنية ، تقف بالمرصاد للبطش والتنكيل بكل من يتصدى لمكافحة اغراضها العدوانية في البلاد .

وبالفعل فان الاستاذ ابن سودة قد استطاع بهذا العنوان ان يحمي نفسه من الوقوع في شراك الادارة الفرنسية ورقابتها من جهة ، كما استطاع من جهة ثانية ، أن يقدم للقارىء المغربي عبر احاديثه في « الراي العام » مادة دسمة ومغرية ، جعلت هذا القارىء الطيب ، يقبل على متابعة جريدته بحرارة وشوق ، ارضاء لفضوله المتعطش الى ما يقوله « المفتي » من اراء وانطباعات فيما تعانيه بلاده من جور الاجنبي وطغيانه ليكون على بينة من امره في كفاحه المضني من اجل الحرية والكرامة والاستقلال .

والكتاب كما قدمنا من قبل ، هو من طراز جديد سواء من حيث المادة او من حيث الاسلوب ، بل لعلني استطيع القول ، بان « حديث المفتي » بين الكتب السياسية والادبية المعاصرة ، نسيج وحده ، ذلك ان المؤلف تناول فيه موضوعاته القومية الانتقادية بطريقة طريفة خاصة ، ظاهرها كلام هين رقيق لطيف ، وشيت حواشيه واطرافه باللفظ المسجع المتواتر ، وطرزت عبارته بزخرف القول المنمق بما هو الى السخرية والهزل اقرب منه الى الرصانة والجد ، اما باطن هذا الكلام فانه لدى الامعان فيه وتدبره يتكشف عن نقدات لاذعة وغمزات مريرة وفي هذه وتلك حض للناس على النهوض من كبوتهم والارتهم الى البدار للدفاع عن بلدهم وكيانهم ودينهم . ولا بدع ، فان الاستاذ ابن سودة ليس من اولئك الادباء الذين اتخذوا من الكتابة متعة فنية ولا غاية في ذاتها ، بل انه ، في احاديثه على لسان المفتي قد جعل من كل كلمة ، نداء صارخا استطاع ان يصل من خلاله الى صميم ضمير المواطن المغربي فايقظه من غفلته وفتح بمعانيه المثيرة عيون مواطنيه الى خطر السياسة الاجنبية وفساد اساليبها المغرضة مع المحافظة فيما يكتب ، على هدوء اصحاب الرسالات ، متنقلا من حديث الى آخر ، بلغة سلسلة واضحة لا يعجز عن ادراك معانيها وفهم مراميها البسطاء من الناس ، في غلالة محكمة من الاحتراس اليقظ ، بحيث لا تتمكن « ادارة الرقابة » من تطبيق قوانينها الجائرة بحقه او انتحول، بسيفها المسلط، دون استمراره في اداء رسالته القومية السامية ، عن طريق الشطب او الالغاء او التعطيل .

ومن يطلع على «حديث المفتي» فانه سوف يواجه عبر سطور هذا الكتاب ، واحدا من عمالقة الكتاب السياسيين ، استطاع التحكم فيما بين يديه من ادوات اللغة ، وتسخيرها في خدمة اهدافه القومية ، دون ان يستفزه الحماس الى الانزلاق بالحرف الى مخاطر الوقوع في شراك الخصم العنيد الذي يتربص به ويقومه عند اول سانحة تتاح له . ولعمري انها لمزية موهوبة ، لا يؤتاها الا ذو حظ عظيم من ضبط النفس وسلامة الفكر ، وسلطان البيان واتساع الافق في الثقافة والوان المعرفة : ولعلني استطيع ان اجد فيما كتبه السيد محمد العربي الخطابي في مقدمة الكتاب الذي نحن بصدده ، ما يعبر عن رأيي الشخصي في ابن سودة واسلوبه . فقد قال الخطابي :

« .. وان الذي يعرف صاحب هذه الاحاديث ، معرفة شخصية لن يصعب عليه اكتشاف روح صاحب « حديث المفتي » التي تتسم بالافاضة في الاعراب عن الراي ، وباستحضار الاستشهادات الادبية والنوادر والمستملحات ، مع قدرة على تنميق اللفظ وتصريف الكلام » .

وانه قد قيل في قديم الزمان، انالادب مرآة الحياة الاجتماعية ..وهذا الكلام يعني ، ان ما يكتبه الاديب ، انما يعكس على الورق واقع المجتمع الذي يعيش فيه ، بكل ما في هذا المجتمع من مزايا ونقائص وبكل ما فيه كذلك من حقائق واباطيل ، وعلى هذا ، فابن سودة في كتابه « حديث المفتي » قد اعطانا عبر صفحاته صورة جلية واضحة عن واقع المغرب في عهد الحماية الفرنسية ، سواء لجهة مظالم هذه الحماية او لجهة البطولات الخارقة التي بذلها اشقاؤنا المغاربة في جهادهم من اجل كرامتهم واستقلال ديارهم .

واذا لاحظنا ان « الحماية الفرنسية » المفروضة على البلاد ، كانت حريصة اشد الحرص على عزل الشعب المغربي عن كل وسائل التطور والنماء والتقدم ، فاننا ندرك من غير شك ، ان مهمة ابن سودة

وامثاله ممن هو في مركز القيادة الوطنية لهذا الشعب ، كانت من الصعوبة بالمكان الذي كان يقتضيه ان يكتنف نفسه بسور من الحذر الشديد لكيلا يقع فريسة سهلة تحت غائلة القوانين القاتلة لهذه الحماية، ويؤدي ذلك الى ان يخسر الشعب قيادته المخلصة ويصبح ريشة تائهة في مهب التضليل والفساد والضياع ...!

لذلك وجدنا هذا القائد الالمعي يمارس دوره الطليعي في تحرير امته بواسطة قلمه السيال الذي شق به طريقا معبدا للوصول الى قلوب الجماهير الخافقة وعقولهم المتفتحة في آن واحد دون ان يكلف ايا منهم شططا في ادراك غايته والعمل بهدي رسالته . وهنا يطيب لنا ايضا اعادة ما قاله محمد العربي الخطابي في هذا الصدد :

« .. كان السيد احمد بن سودة يقصد من غير شك، باختياره هذا الاسلوب في كتابه « حديث المفتي » احداث التاثير المباشر في جمهور عريض من المواطنين الذين يضنيهم اسلوب مفرط في الرزانة وتصلب المنطق ، ويميلون الى اسلوب فكه مبسط تقبع وراءه شخصية من صميم المجتمع الاسلامي العربي ، لا ترسخ صورتها في الاذهان الا مصحوبة بصورة اخرى عالقة بها ، من التزحلق في الكلام ، والاستطراد والاستشهاد ، او لاحداث اثر في السامع ، هذه الشخصية ، هي شخصية المفتي التي تقمصها السيد ابن سودة ، وهو متاثر ببيئته الاجتماعية التي عرفت كثيرا من العلماء والقضاة والمفتين ، فتاثر بثقافته الاولى النابعة من القرويين ومن مجتمع فاس ذي اللون والطابع المميزين !.. »

ومن خلال ما تقدم ، فاننا نستطيع ان نتحدث عن « حديث المفتي » هذا الكتاب الذي يمثل في الواقع ، صورة قلمية لا ينقصها الجلاء والوضوح ، من الايام العصيبة التي عاشها الشعب المغربي في فترة نضاله المرير وهو يحاول تحطيم الاغلال المادية والفكرية التي كان يرسف بها تحت وطاة الحماية الاجنبية ، دون ان تكون له وزر ولا معين الا ايمانه الراسخ بحقه في الحياة الحرة الكريمة وثقته التي لا تحد بقدرته البطولية على بلوغ هذا الحق مهما كانت العراقيل ومهما طال الزمن .

ولقد صدق ظن الشعب المغربي بنفسه فما هي الا سنين قلائل ، واذال الله من ذل الماضي وبؤسه ، وها هو احمد ابن سودة يقدم لنا في « حديث المفتي » طرفا من الوان المكائد الاستعمارية التي كانت تنفث في عقدها سلطات الحماية بين اوساط الشعب المغربي كي تشل من قدرته على مقاومتها والاقالة وحته من نيرها ورزئها . قال ابن سودة بعنوان « المدارس مركز دعاية للاستعمار » :

« لم يسلم تاريخ المغرب من التحريف والتشويه . ولهذا الغرض الدنيء جلب المستعمرون الاساتذة الاجانب في المدارس ، وكانت الصحافة الوطنية لهم بالمرصاد » .

« .. شعرت براحة ، فغادرت الفراش ، وجلست الى المائدة التهم لحم الكباش ، واذا بحفدتي يقفزون كانهم فراش .

قال لي عبد الحميد ، وهو لاخوته عميد : احقا يا جدي كنتم تملكون العبيد ، وتجعلون منهم الطباخ والوليد ، يربون الاطفال ويذهبون بهم الى المسيد (الكتاب) حتى جاء الاستعمار ومحا من المغرب هذا العار ، فقلت له : من انباك هذه التواريخ ؟ فاجابني : حضرة استاذ التاريخ ، فقلت له : قل لاستاذك ، كان ما كان ، وانقضى هذا من الاكوان ، ولنفتح اعيننا الان ، اليس لكل اوروبي غلام وطباخ ، وحارس وصبان للاوساخ ، اليس لكل ادارة عساس ، ومناول وكناس، اليس لكل معمر قافلة من العمال المساكين ، يعملون كانهم مجانين . فان عزم واحد منهم على الخروج ، ولم يرض بالخدمة عند العلوج ، سيق الى السجان عوض النخاس ، وبات مع المجرمين من الناس . قل يا ولدي لاستاذك هذا الكلام الدقيق . واساله عن الفرق بين ذلك الرقيق وهذا الرقيق .

لقد اتقن الاوروبيون العناوين ، وخدعوا بها المجانين . لقد كنا

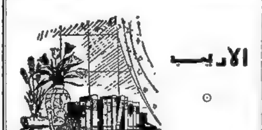

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — المنزل ٢٢٥١٣٩
Tel : Dir : 223819 — Die : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ــ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

تقول الخادمة والعبيد ، وتناديهم بميمون وسعيد . فجعلوا بدل ذلك : كوزينيي وكارصون والشاوش والبلانطون ، فليس هناك فرق في الاسماء ، فلما يسب الاستاذ الجدود الى الابناء . ان الفرسان غابت فصهلت الحمير ، واصبح كل جاهل يظن نفسه العليم الخبير .

قالوا تصاهلت الحمير فقلت اذا عدم السوابق
خلت البيوت من الرخاخ فتفرزنت فيها البيادق »

هذه القطعة الادبية ، بل قل ان شئت هذه اللوحة الفنية ، التي استبدلها الكاتب بريشة الرسام ، حرصنا على نقلها من اولها الى اخرها ، لنضع بين يدي القارىء صورة حية من اسلوب الاستاذ ابن سودة في مناقشة دسائس الحماية في اوساط الطلاب ، ناشئة البلاد وامليا المقبل . وليس من شك في ان هذا الاسلوب ، يذكرنا بطلاوته ومرونته بتلك الاقلام الطريفة ، التي كانت في عهود الظلام ، بكتاباتها الواعية ، تضيء السبيل امام المظلومين لينطلقوا من عقال العبودية في مسيرة الحرية نحو غايتها ، فلا يشعر اعداء الضياء الا وانوار الاحرار فوق رؤوسهم تخطف منهم الابصار .

فلسطين في « حديث المفتي » : و « حديث المفتي » ليس كله مغربي العناوين . وموضوعاته ، ليست كلها عن الحماية ومن وراءها من المستعمرين الاجانب . بل ان هذا الكتاب ، قد توزعته اللفتات الوطنية، بين مشرق البلاد العربية ومغربها . فلكل قضية وطنية في بلاد العروبة والاسلام نصيب من صفحاته ، سطرها المؤلف بروح المؤمن الصادق ، الذي يعتقد اعتقادا مخلصا بوحدة امته في مصيرها ، ووحدتها في آلامها وآمالها ، ووحدتها في ديارها واوطانها .

وان حديث المفتي عن فلسطين بالذات ، يتكرر في الكتاب اكثر من مرة ، بكلمات يكاد ينجبس من خلال حروفها دمع الكاتب او تفور دماؤه حزنا والما وهو يكتب تحت عنوان « من وحي المؤامرات على فلسطين » :

« نحن العرب ، اضعنا فلسطين » . كانت صحافة العالم العربي كلها تحمل حملات شعواء على الصهيونية ، وسال في ذلك كثير من المداد . ولكن العرب في كل مكان ، يجعلون جل معاملاتهم مع اليهود ويشجعون تجارتهم بكيفية مباشرة وغير مباشرة ، الامر الذي اوحى الى « المفتي » بالحديث التالي :

« عاد من الشرق رفيق ، فالتف الاخوان حوله كالكؤوس بالابريق، فحدث القوم عن فلسطين حديثا اسال الدموع ، وسبب القنوت والخشوع . اما انا فبقيت امسح نظارتي ، واصلح عمامتي ، فاستاؤا مني اشد استياء . فقال لي احدهم : كانك لست من العرب العرباء ؟. فرميت نظارتي وازلت عمامتي ، ورفعت صوتي صائحا : نحن الذين اضاعوا فلسطين ، وكلنا نتحمل المسؤولية من الشمال الى اليمين . من مون الصهيونية في فلسطين ، اليسوا هم اليهود المتفرقين في العالمين ، السنا نحن (نحلق شعورنا وذقوننا) عند اليهود ؟ السنا نخيط عند اليهود ؟ الحسابون هم اليهود ، السماسرة هم اليهود ، امناؤنا هم اليهود ، فاموالنا تذهب عند اليهود ! يرسلونها اليهود فيمونون اليهود ضد العرب ، بما ارسلتم من فضة وذهب . ايها القوم اقطعوا عنهم المال ، تنحل دولتهم في الحال . قاطعوهم على الاقل في رمضان ، وانا اضمن ان يقدم استقالته وايزمان . قاطعوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم . قال الاخوان : الحق معك يا مفتي الزمان ، فقلت لهم هاتوا علبة الدخان قبل ان يفاجئنا رمضان ... »

اما بعد ،

فان الكلام عن « المفتي » وحديثه ، جدير بان لا تكفيه هذه العجالة، لان موضوعه واسلوبه يدفعان بالقلم الى الاسترسال الصفحات ذوات العدد لما يتميز به كلاهما من الطرافة والجودة والجاذبية ، على اننا نقف ، الان ، بهذا القلم عند هذا الحد ، والشوق يحدو بنا الى العودة مرة اخرى بهذا الكتاب الى دراسة تفيه حقه من التحليل والتفصيل ، لان القارئ العربي في المشرق شديد اللهفة الى الاستمتاع بما ينتجه شقيقه في المغرب من روائع ادبه وطرائف قلمه لا سيما اذا كانت هذه الروائع والطرائف بقلم تناولته يد الاستاذ احمد ابن سودة الذي يعتبر ، عن جدارة واستحقاق ، سيدا من سادات الكلمة الوطنية التي تبعث في النفس نشوة المتعة الفنية وترتفع بها الى اعلى الدرجات في معارج الوعي القومي .

طه الولي

•

الباحث عن الحقيقة

تاليف محمد عبد الحليم عبد الله ــ ١٤٢ صفحة ــ منشورات مكتبة مصر مطبوعات مكتبة مصر بالقاهرة

« وشعر ان المشقات اعظم الابواب التي تؤدي الى الله . وان الذين يعانون المشقة من دنياهم محسوبون على الله في آخرتهم » .

« وماذا يضير ما دمت في الطريق اليه . ان المملوك لا يملك مرتين في وقت واحد ونفسي ملك الله . فهي في طلاقة الافق وحرية النسيم .. وماذا يفعلون بجسم رقيق ؟ لست ارى في هذا تناقضا يا ربي .. آه اين انت يا عابد (عمورية) لتقول لي رايك ؟ لست ارى تناقضا من ان اخدم عبدا واعبد الها ما دمت يا ربي قد كتبت علي ان ابكي في الطريق اليك » .

من الذي يقول هذا الكلام ؟ انه الباحث عن الحقيقة .. سلمان الفارسي ــ رضي الله عنه ــ كما تمثله محمد عبد الحليم عبد الله في قصته الجديدة عنه والتي تمثل انعكاسا جديدا للصورة التي نعرفها لعبد الحليم عبد الله . فقد كان قاصا لحكايا الريف بكل ما يعج به من آلام واحلام ، وكان راويا لمصر في عاداتها وتقاليدها ، وراسما لخطوط صورتها القديمة والحاضرة .. واحيانا القادمة . وعبد الحليم عبد الله في قصصه كاتب فريد ، من طراز خاص ، ليس تابعا لاخرين، ولا صورة منقولة عن احد ، فاحتفظ بطابعه الخاص ، ونكهته المتميزة ، وهو وان اهمله النقد ، وتآمر عليه النقاد بالصمت في احيان كثيرة ، فانه يظل شامخا سامقا ، لا يخضع لعوامل التعرية ولا يتاثر بها ، وذلك لان في ادبه اصالة ، وفي فنه ابتكار ، والاصالة والابتكار من الزم اللوازم للاديب الفنان في كل عصر واوان .

واتجاه عبد الحليم عبد الله الى دنيا القصة التاريخية الدينية غير مفاجيء لمن عرفه في قصصه السابقة ، فهي كلها مزيج من الكلاسيكية التي تعتمد الخلق كاساس متين تقوم عليه ، وتنفر من الرذائل ، وتوجب محاربتها بكل الوسائل والطرق ، وهو بالاضافة الى الكلاسيكية ينغمس في الرومانتيكية كطالب للمثل الاعلى ، والبطولة النادرة ، والابطال الافذاذ ، وهو بعد ذلك واقعي يعري الواقع المرئي ويكشفه ، ويفضح الزيف في اسلوب فريد . ونحن حين نضع «الباحث عن الحقيقة » على اساس المقارنة ، والاتجاه ، نجد « الباحث عن الحقيقة » امتدادا لما سبق ، بل هو نوع من التكامل وصل اليه عبد الحليم عبد الله ليستلهم عبق الماضي ، في اسلوب ادبي رفيع . وفي رأينا ان استلهام الماضي لا يتعارض مع ما نهدف اليه من اخصاب للادب العربي ، وبعث لحياته . والذين ينادون بالواقعية نقول لهم ايضا ان هذا لا ينفي الواقعية ، ولا يشنقها ، ولكنه واقع متجدد يترامى في كل مكان وكل حين .. ولا يتبدد بمرور الازمنة وتغير الامكنة .. لانه

قطعة من وجدان كل عربي ، ينبض بها قلبه ، ويختلج بهما صدره ، خاصة وانه ماض يتصل بالعقيدة . وعلى اية حال فان ذلك الماضي يصبح واقعا بل ومستقبلا اذا استقبلته يد الاديب الفنان ثم صاغته في قالب ادبي بديع ، عندئذ تنتفي كل النقائص ويخرس المتحذلقون .

والواقع ان « الباحث عن الحقيقة » او سلمان الفارسي .... قصة فتحت ميدانا جديدا للادب العربي المعاصر ان يجرد فيه اسلحته ، ويظهر فيه براعته ، وينساب مع عطر السيرة ، واريج الشهيرة حين اخذ يغزل من عطر السيرة النبوية ثلاثة اجزاء من كتابه « على هامش السيرة » . وعبد الحليم عبد الله اثبت بهذه القصة بانه قادر على التجدد، وقادر على العطاء .. وعطاؤه ليس بسيطا او سطحيا او ساذجا ولكنه عطاء كبير وعميق وذكي .. يصوره بالكلمة الشفافة والصورة الواضحة ، والتعبير الرائق الاصيل ، والتشبيه الذي لم يأخذه عن سابق او معاصر ، وانما هو مبتكر مبدع ، ويساعده على كل ذلك انتاجه الدؤوب الصامت بلا كلمة عالية او ضجة صاخبة ، ولكنه في صمت يعمل ، وفي سكون ينتج دون ان ينظر الى عالم بلا انصاف ، ودنيا بغير عدالة . فهل آن لنا ان نقدره وننظر الى ادبه نظرة فاحصة موضوعية توفيه حقه ، ونعطيه نصيبه كما اقسم غيره واستوفى ؟ انهم يقولون دائما ان عبد الحليم عبد الله هو كاتب الريف ، ونجيب محفوظ كاتب المدينة ، كل منهما اختص بجزء من الوطن يحلله ويحتضن مآسيه واحلامه ، ويشترك معه في رحلة العمر .. فهل حصل عبد الحليم على شيء مما حظي به نجيب محفوظ ؟ لست اسوي بينهما ، ولكن الرجل يستحق شيئا لم نعطه اياه ولم يأخذه . على اية حال فان المستقبل لن يضن على من يستحقون مهما طال المدى، «واليس يتغير جوهر المسك ان سميناه طينا » ولننقل ايضا على لسان سلمان « فاني ارى في عذاب كل لحظة مرت به ورقة خضراء تتفتح على شجرة الحكمة .. حكمتك التي تخفى على الناس يا ربي» ولتتفتح اوراق سلمان وعبدالحليم ابدا.

الاسكندرية

حلمي محمود القاعود

عـــود القصـــب

تاليف محمود حسن العزب ـ مجموعة قصص قصيرة ـ ١٤٨ صفحة ـ سلسلة الكتاب الماسي ـ مطابع دار الكاتب العربي بالقاهرة .

من الاقلام الشابة الاصيلة التي بدأت تلمع في سماء القصة العربية القصيرة .. محمود حسن العزب ، الذي اصدر في هذه الايام في سلسلة الكتاب الماسي مجموعته الاولى « عود القصب » في اربع عشرة قصة . واكبر الظن ان الحديث عن العزب والقرية استهلال مناسب لدراسة هذه المجموعة القصصية الجديدة .. وكثرة او قلة عدد القصص التي كتبها محمود العزب في هذه المجموعة عن الريف ، ليست بالمعيار الدقيق لصلة ادبنا بالقرية ، فالاحصاء في هذا المجال ـ مجال الفن ـ كثيرا ما يخدع لانه لا يعكس جوهرا يقوم بالمادة، وانما الاعتبار هنا في المقام الاول لصدق التناول . ولا شك ان قاصا كان صادقا ، لا لاحساس القارىء بحرارة العزب واخلاصه وامانته في عرض شخصياته واجوائه الريفية فحسب ، بل لانه يجد اهتماما بالقرية يندس في قصصه الاخرى ايضا التي لا تتخذ الريف مسرحا لاحداثها بشكل او بآخر . والعزب كريفي قبل كل شيء وكقاص شاب يهتز لملامح التغيير الذي حدث في بلدنا ، يثيره بنوع خاص التغيرات التي وقعت في نطاق الريف . ويلتفت بوعي الى اثارها العميقة في نفس الفلاح المصري وكيانه . في قصة « الباب » يقتنص فناننا حيرة عطية الذي تختزن اعماقه استسلام فلاحنا آلاف السنين لحكامه المستغلين وشكه الدائم في نوايا هؤلاء الحكام وكل من يمثل اجهزة السلطة نحوه ، وهو يستمع الى مندوب العمال يعرض عليه وعلى زملائه عمال التراحيل ، اشياء تبدو لهم خيالية وبعيدة التصديق لو خلصت النية كما علمتهم تجاربهم القديمة .. عشرون قرشا يوميا وقبض اجر شهرين مقدما مع الرعاية الصحية ايضا . ويحاول عطية ان يقنع نفسه بان هذا بعض مكاسب انشاء نقابة لعمال التراحيل ترعى مصالحهم ولكنه يذكر بينه وبين نفسه انضمامه الشكلي لهذه النقابة ، وكذلك اسلوب خداع مقاولي الانفار لهم فيبوخ الاقتناع . ولكن عوزه ورغبته في اسعاد ابنته الطفلة اليتيمة الام واستشعاره غير الواضح للحياة الجديدة في وطنه تدفعه في النهاية الى الاطمئنان الى مندوب العمال الوافد .. وتتناول قصة « الميلاد الجديد » كذلك جانبا آخر من الاصلاح الزراعي وهو توزيع الارض على المعدمين منعكسة على « المقتوالي » المعدم عباس البيه . واذا كان الالتزام الحقيقي لا يعني اقتصارا على تناول المواضيع السياسية وما يجري نحوها وحدها، فقد وجدنا العزب يلتفت باهتمام الى الجوانب الانسانية الكثيرة في الريف التي تعطي لحياة البشر ووجودهم معنى . ففي قصة « عود القصب » التي تذكرنا بقصة يوسف ادريس « اخر الدنيا » مجموعة (آخر الدنيا) ـ يعالج مؤلفنا لهفة طفل ـ ما اشد تعلق العزب بالاطفال في الكثير من قصصه ـ ريفي فقير على شراء عود قصب وضياع قرشه الثمين قبل ان يشتري العود ! وفي دنيا الطفل ايضا يكتب « الطائرة » عن حب فتحي للطائرة الورقية التي يرفعها عاليا في سماء قريته ، وفي « الاتجاه الاخر » يحلل الصراع في الموار كمال بعد حصوله على الدبلوم بين مساعدة ابيه خادم مسجد القرية في تربية اخوته وبين الاقتران بحبيبته سميرة ..

ولعل الدور الذي تقوم به قصة العزب ناجم عن ان صاحبها عنده فعلا ما يقوله . وهذا الذي يملكه ليس شيئا قليلا بالقياس الى قصتنا بوجه عام والى انتاج الكثيرين من ابناء جيله بوجه خاص . فهو يريد ان يدفع بدم جديد حقيقي في شرايين القصة لا مياه حمراء تزيفها الشعارات والمدارس الادبية ، يعوض لها جمودها بتوقف غالبية الجيل الاسبق من القصاص واصابة الجيل الثالث بالشيخوخة المبكرة وتحول الكثيرين منهم الى غير القصة . انه يبحث عن قصة تعكس بدقة اكبر الفلاح المصري والحياة القروية التي لم يرسم الكتاب في اكثر الاحيان الا سطوحها الخفيفة . وليس الصدق الفني فحسب هو الذي يدعو اليه العزب ، بل الصدق الذي هو نقيض الكذب ايضا .. فلا يجب ان يكون هناك مناطق محرمة على القصة لا تطرقها خوفا من اغضاب احد من اصحاب المهن الرفيعة الشريفة ! فضباط الشرطة مثلا ليسوا كلهم اطهارا ابرارا وملائكة منزلين من السماء السابعة ، فلا خوف على كتاب القصة ولا هم يحزنون اذا تناولوهم بالنقد والاتهام احيانا ـ تناول مؤلفنا ضابط الشرطة الدعي المستبد في قصة « الطائرة » .. ـ ولعل شباب العزب الذي يعيش في بلد ينادي بتكافؤ الفرص هو الذي اثاره على هذا الوضع الغريب في فننا وادبنا الذي يحافظ على ما يسمى بالحق المقدس لاصحاب المهن الشريفة الرفيعة .

وهذا الذي يحاوله العزب جميعا هو الذي يعطي قصته ابعادها الرحبة التي تلتقي مع القيم الانسانية في كل زمان ومكان ، ويجعل من المحلية خطوة الى العالمية التي يتعاطف عندها الجميع بلا تفرقة من اجناس . ولا نجد في هذا الموضع ما نتمثل به اصدق من هذه الصورة او الصور التي جاء بها فناننا في احدى قصصه وهي « السماء تمطر ذهبا » . « حاول الصبيان ان يصعدا اثناء هبوط ركاب السيارة ـ الاتوبيس ـ ولكن ضغط الهابطين اوقف المحاولة ، واضطرا للانتظار قليلا بجوار باب السيارة الخلفي . وراحا يرمقان وجوه الهابطين ، ولاحظا ان غالبية هذه الوجوه ريفية فاستاءا من ذلك ، والتفتا انهما

لن يجدا نصيبا موفورا من اعقاب السجاير .. وسيغلب على ما يجدانه من اعقاب انها بقايا سجائر (لف) مما ينتشر تدخينه بينهم . عندما خف ضغط الهابطين اشار منصور لزميله بالتوجه للباب الامامي . كانا ينويان جرد السيارة من الناحيتين ، وصعد منصور غير عابيء بقروي يحاول النزول بسلة . لم يحتمل ان يعوقه قروي بسلته فجذبهما معا الى الخارج ، وتغافل القروي عن هجوم الصبي ، خوفا من اصطدام سلته بحائط السيارة ، وظهرت على شفتيه همهمة احتجاج لم انشغل بما اتي من اجله الى المدينة . كان القروي ـ قبل ان يجذبه الصبي ـ يهم بوضع يده على جيبه ، ورغب ان يفعل ذلك مشتركا مع الركاب في ايثار الحيطة والحذر .. اذ كيف يتعجل الركوب صبيان بمظهرهما هذا؟ اليس من المحتمل انهما لصان صغيران ؟ ما الذي يبغيانه بهذا التزاحم؟ اليس في وسعهما الانتظار دقيقة واحدة حتى يتم نزول الركاب ؟ ولم تخطر غايتهما من صعود السيارة على بال اي راكب .. ولو عرف لرابه الامر اكثر .. واعتبر ذلك ذريعة يندسان بها بين الركاب بغية نشل بعضهم .. ان مظهرهما كاف لايحاء هذه الافكار المرعبة .. ويتضاعف هذا الرعب لان اكثرهم قادم من القرى المجاورة ، جاءوا يتسوقون بمال قليل طال كدحهم في جمعه .. وبانفسهم امل قوي في ان يضيفوا ـ في هذا اليوم ـ الى الخبز شيئا كالبلح الاحمر او الجوافة الصفراء .... شيئا يفرح به صغارهم ، كي يقال ان الاب عاد ممتليء اليدين بفاكهة يوم السوق » (ص ٩٠ ـ ٩١).

واشياء كثيرة تطبع انتاج قاصنا بالريفية ، استخدمها مع اختيار الموقف والشخصية وزاوية التناول والاسلوب اللفظي السهل ، منها مثلا الوصف . فاذا هو ايضا ينبع صادقا بلا تزييف من القرية .. « عادت جلونه للاهتزاز تتأمل الاشباح امامه . بشرة شاحبة كما لو كانت ليمونة عطبة . وجنات مهزولة مثل كيزان الذرة المسوسة . صدور مكدودة بانفاس الكدر والبصل . قامات جرداء تنافس جذوع الصفصاف في الخريف . عيون كاللمبة نمرة (٥) شحيحة الغاز ، يتوه في شحوبها بحثا عن لمة قديمة في حقولهم الخضراء ..»

اهم ما قدمته مجموعة «عودالقصب» اذن انها تبلور شيئا هاما وهو الاقليمية كاتبنا .. فمحمود حسن العزب يعكس بدقة نموذج الاديب الاقليمي الذي نريده .. الاديب الذي يؤمن بان الاقليم الصغير يجب ان يكون مصدر الهامه الكبير ، وعلى ارضه يتصاعد بناؤه الفني ، ومن اهل قراه ومدنه الصغيرة ومشاكلهم يقدم شخوص قصصه واحداثها .. هذه السمة هي التي تعطي اعمال العزب اصالتها الواضحة وتحدد امتيازه ، تماما كما يجد المتلقي عند الروائي د. شفيع سالم في « الفاتحة للشيخ حستين» . ان براعةالفنان الاولى تكمن في الوقوف على اوجه الفروق والاختلاف او الاتفاق بين اهل الاقليم والاقاليم الاخرى والتقاطها وتجسيدها فيما ينتج . واذا كنا نذكر في « الفاتحة للشيخ حستين » عالم عربات الحنطور ومغامرات خوذييها مثلا ، ففي احدى قصص « عود القصب » يصور القاص عربة « اعلان السينما » التي يجرها غلمان جامعي اعقاب السجائر عادة .. ان هذه الاشياء الفارقة في محليتها ـ والتي لا تجيء عمدا بالطبع كواقع تسجيلي ـ هي التي تعطي الادب الاقليمي بعض نكهته المعروفة .

من الاسس التي تقوم عليها قصة محمود العزب ، التقابل . والتقابل عامل مساعد كبير عند كاتب القصة ، فهو يزوده بامكانيات ضخمة اذ يوسع من رقعة المساحة الممنوحة له ، وبلفظ اخر يكتشف للقاص مناطق جديدة يمكن ان يستغلها في تعميق مفاهيمه واهدافه سواء اكانت متقابلة شخصية لشخصية او شخصية لحيوان او نبات او جماد ! فالتقابل اذن زيادة على ما يعمد اليه من توكيد المعنى الذي يذهب اليه القاص، يحاول ان يفجر كل ما في اعماق الشخصية او الموقف من قوى. في قصة « البحث عن نسمة مثلا نرى الجمود يظلل كل شيء ، فمقابل التاجر الصغير الكاسد ، نجد صاحبه الهموم ، والطقس الحار بلا نسمة واحده « اطراف النخلة تتصلب خلف النافذة كما يتصلب هو في دكانه طيلة نهار كامل .. ابتهلت عيناه للفضاء حتى يجود بنسمة منعشة . لصق راسه بالحائط زافرا ثم طوى (فرخ) الورق مرتين ولوح به يستدر عطفه في جلب نسمة مؤقتة ، لكن كل شيء راكد كسوق تجارته ... فمتى تهل النسمات على اطراف السعف ، ورفوف دكانه ؟!» (صفحة ١٦)

وفي احيان كثيرة يصل تعايش العزب مع ابطاله واحداثه الى درجة كبيرة من الاندماج العاطفي تكاد تتحول لو ارتفعت درجة سخونتها لحظة ، الى لون من الوان تطفل المؤلف على السياق . ومن هذه اللمسات الممتازة نذكر عطية في « الباب » وهو موزع النفس في الاطمئنان الى حديث مندوب العمال يصيخ لكلماته .. صداها يطن في راسه بالرغم من خوفه (.. بلا ذل او تعسف) .. الكلمة الاولى مفهومة له .. عاش في ظلالها طويلا .. الثانية غريبة على اذنيه لكن لا بد انها سيئة .. ملعونة كزميلتها !..

والذين يعرفون محمود العزب يعرفون فيه انسانا مرحا كثير الدعابة لا تغادر البسمة شفتيه . والذين يقرءون قصصه يلمحون السمة نفسها فيها ، فهو من الادباء الذين لا يقيمون سدا صفيقا بين شخصياتهم الحقيقية وشخصياتهم الادبية .. وقد انعكس عنصر المرح في مجموعة « عود القصب » في اكثر من صورة . واذا اكتفينا هنا بالاشارة الى واحدة منها وهي عباراته الراقصة لوجدنا انها تصل في بعض الاحيان الى ان تعادي موقف القصة الجهم نفسه كما في «المرآة الصاحية» ! ففي هذه القصة نجد المدرس يخرج من حجرة الناظر

● من مقدمة ابن خلدون ـ نصوص جمعها ورتبها وقدم لها الدكتور البير نصري نادر من اساتذة الفلسفة في الجامعة اللبنانية ـ ١٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المشرق ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● رياح كانون ـ رواية ـ تاليف فاضل السباعي ـ لوحة الغلاف للفنان السوري زكريا كايا ـ ٤٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار اليقظة العربية ببيروت ودار القصة العربية بحلب ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● احزان البنفسج ـ مجموعة شعرية ـ عبد الخالق فريد ـ تقديم مصطفى عبد اللطيف السحرتي ـ ٩٦ صفحة ـ مطابع دار الهنا بالقاهرة .

● ديوان الحرية ـ مجموعة شعرية ـ عبد الكريم بن ثابت ـ تقديم عبد الكريم غلاب ـ ١٠٤ صفحة ـ منشورات « كتاب العلم » (بالرباط المغرب) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اشياء شخصية ـ تاليف الدكتور عبد السلام العجيلي ـ ٦٨ صفحة ـ طبع من هذا الكتاب ٥٠٠ نسخة فقط مرقمة ـ منشورات صحافيا ببيروت .

● وحي الفؤاد ـ مجموعة شعرية ـ فؤاد شاكر ـ تقديم محمد سعيد العامودي ـ طبعة ثالثة ـ ٤١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع على نفقة السيد حسن عباس شربتلي ـ مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بالسعودية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الهوى وحديث العينين ـ مجموعة شعرية ـ فؤاد الخشن ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات صحافيا ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● جفون تسحق الصور ـ رواية تاليف الدكتور بديع حقي ـ لوحة الغلاف بريشة رضوان الشهال ـ ١٩٢ صفحة ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● الحية في حياتنا وتراثنا ـ تاليف المحامي عبدالقادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية بسورية ـ ٨٤ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٢١ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ طبع في دير الزور بسورية « لم يذكر اسم المطبعة » .

● صوت المارد ـ مجموعة شعرية باللغة العامية اللبنانية ـ ايليا ابو شديد ـ ٢٨٤ صفحة ـ مع عدة لوحات فنية ـ منشورات دار الفن (؟) ـ طبع في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● من شرفتي ـ تاليف بولس سلامة ـ ٢٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب اللبناني ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● تاريخ واسط ـ تاليف اسلم بن سهل الرزاز الواسطي المعروف ببحشل المتوفي سنة ٢٩٢ هـ ـ تحقيق كوركيس عواد ـ ٤٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● رسالة في الاحجار الكريمة ـ تاليف ابيفانيوس المتوفي سنة ٤٠٢ م. ـ قدم لها وحققها كوركيس عواد ـ ١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ببغداد .

بعد موقف عاصف معه الى الطريق حزينا متالما . ورغم ذلك فالمؤلف يكتب .. « اجتذبته لافتات مطاعم الميدان الفاتنة .. سيسلم لها قروشه الثلاثة كجندي محاصر يفرط كرها في ذخيرته الاخيرة » (ص ٣٠) وفي « البحث عن نسمة » بينما ابوالعز صاحب المتجر الكاسد مهموما في الطقس اللافح يصف العزب « طوح بيده ذبابة افتتنت بطرف انفه » ! وفي قصة « عود القصب » تتوقف نظرات الام الغاضبة من ابنها الطفل الذي يمزق جلبابه الوحيد باللعب في شوارع القرية ، على « ندبة بجبهته .. ميدالية لفوقه في المفرتة » الخ ..

وتيار اللاوعي الذي استخدمه العزب في بعض قصصه يبدو عند عدد غير قليل من كتاب قصتنا الشبان ، اسلوبا مثيرا سحريا يملك القدرة على ابهار القارىء من اقصر سبيل . ولقد ساعد على انتشار هذا المفهوم الخاطىء احتفال بعض الصحف والمجلات الادبية به ، مما انعكس اثره على ناشئة القصة ايضا فادمنوا استخدامه سواء عن حاجة فنية حقيقية أم عن غير حاجة ، تماما كما يفعل غالبية ناشئة الشعراء الذين يتهالكون على كتابة الشعر الجديد .. واذا كان الناشيء بحكم خطواته الاولى المتعثرة سريع الاستهواء للاساليب الجديدة ، فلا يمكن بالطبع ان نلتمس نفس التعليل او الاعتذار لواحد مثل محمود العزب كتب القصة منذ سنوات واكد وجوده الفني في ادبنا . وهكذا بدت القصص التي كتبها باسلوب تيار اللاوعي اضعف ما في المجموعة لانه انكر فيها شخصيته الحقيقية وتغافل عما يعرف من ان التجربة هي التي تحدد الاسلوب ، وساير « موضة » سائدة لم تنبثق اصولها من نفسه ، فاضطر الى تصنعها كما يفعل اخرون ، يسرعون بالايقاع الحركي والنبضي ـ الاول بين الجمل وبعضها البعض والثاني من داخل الجملة ذاتها ـ ويصيبون كلماتهم ومواقفهم بالتشنج والتوتر ويقيمون اجواءهم بظلال من لهاث نفسي مع ما يتناسب من اقتباسات ساذجة من الادب الشعبي والفن الاسطوري . وهكذا خسر المتلقي جانبا من مجموعة العزب وهي قصص « امواج القاع الدفينة ـ الناي وحارس المقبرة ـ الدخان والنهار الابيض » . ولا يصل القارىء وحده الى هذا الراي في هذا اللون من قصص العزب ، فالعزب نفسه يشاركه ذات الراي ! فعل ذلك ـ ربما بوعي او بغير وعي ـ موضوعيا ، اي بكتابته قصتين ـ دلالة على شعور يساوره بعدم الاطمئنان الى الاسلوب المستحدث ـ احدهما بالاسلوب التقليدي « المراة الصاخبة » والثانية باسلوب تيار اللاوعي المصطنع « امواج القاع الدفينة » عن موضوع واحد ومن زوايا قريبة ، تناول فيها تعاسة مدرس في مدرسة خاصة .. كان الفارق بينهما الفارق بين العمق والضحالة والصدق وعدم الصدق ..

المنصورة ـ ج.ع.م. علاء الدين وحيد